

# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de  
La Recherche Scientifique

.....  
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib  
.....

.....  
Facultés des Lettres et Langues et Science  
Sociales



Ministère de L'enseignement Supérieur et de  
La Recherche Scientifique

.....  
Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib  
.....

.....  
Facultés des Lettres et Langues et Science  
Sociales

## مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات الخطاب

تداولية التفسير القرآني عند الصابوني - دراسة لسانية لنماذج من الذكر الحكيم

- إشراف الأستاذ(ة):

د/ أسماء بن عيسى

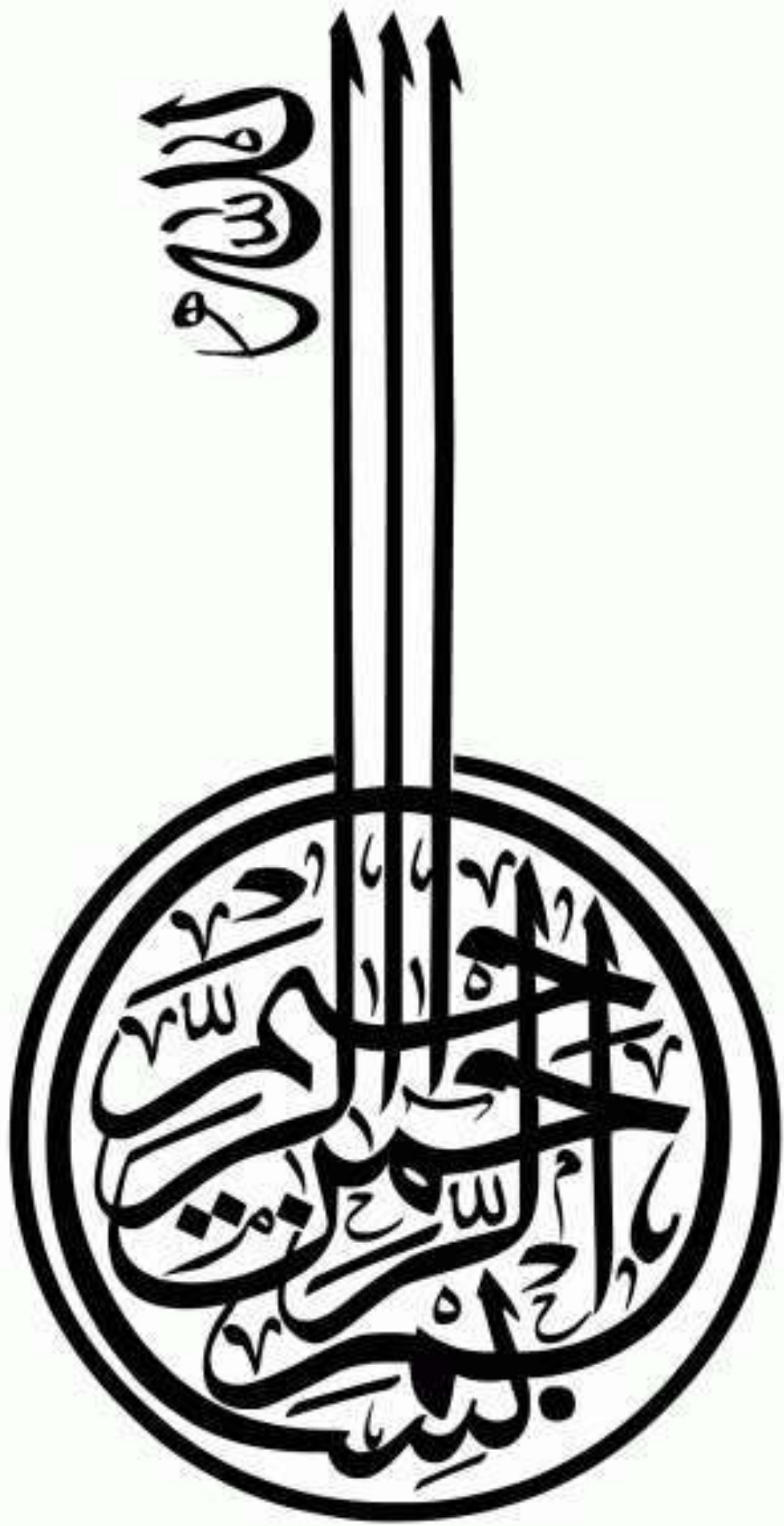
- إعداد الطالب(ة):

هيثم لخضر صايم حداث

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د/خديجة بصالح	أستاذة التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	رئيسة
د/أسماء بن عيسى	محاضر-ب -	جامعة عين تموشنت	مشرفا ومقررا
د/محمد ماكني	محاضر -أ-	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية : 2024 - 2025



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله

## شكروعرفان

الحمد لله بجميع محامده على جميع عوائده  
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد خاتم أنبيائه  
ومبلغ أنبائه وعلى آله الكرام وأصحابه  
مصاييح الظلام ، وبعد :

فالحمد لله الذي أنار لي الطريق وأعانني  
و وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع بالرغم  
من كل الصعوبات و العوائق التي صادفتني  
كما أنقدم بالشكر و الامتنان إلى التي  
أرشدتني و نصحتني منذ أن كان هذا البحث  
فكرة و عنوانا مقترحا ، إلى أن صار هذا  
البحث في صورة مذكرة .

الدكتورة القديرة و الفاضلة " أسماء بن  
عيسى " أنار الله طريقها و أنعم عليها بالصحة  
والعافية .

كما نتوجه بالشكر الخالص إلى كافة  
أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي  
لجامعة عين تموشنت من بداية المسار الجامعي  
إلى يومنا هذا ؛ الذين  
أرشدوني و ساعدوني في هذا التخصص، و لم  
يبخلوا علي بالنصح

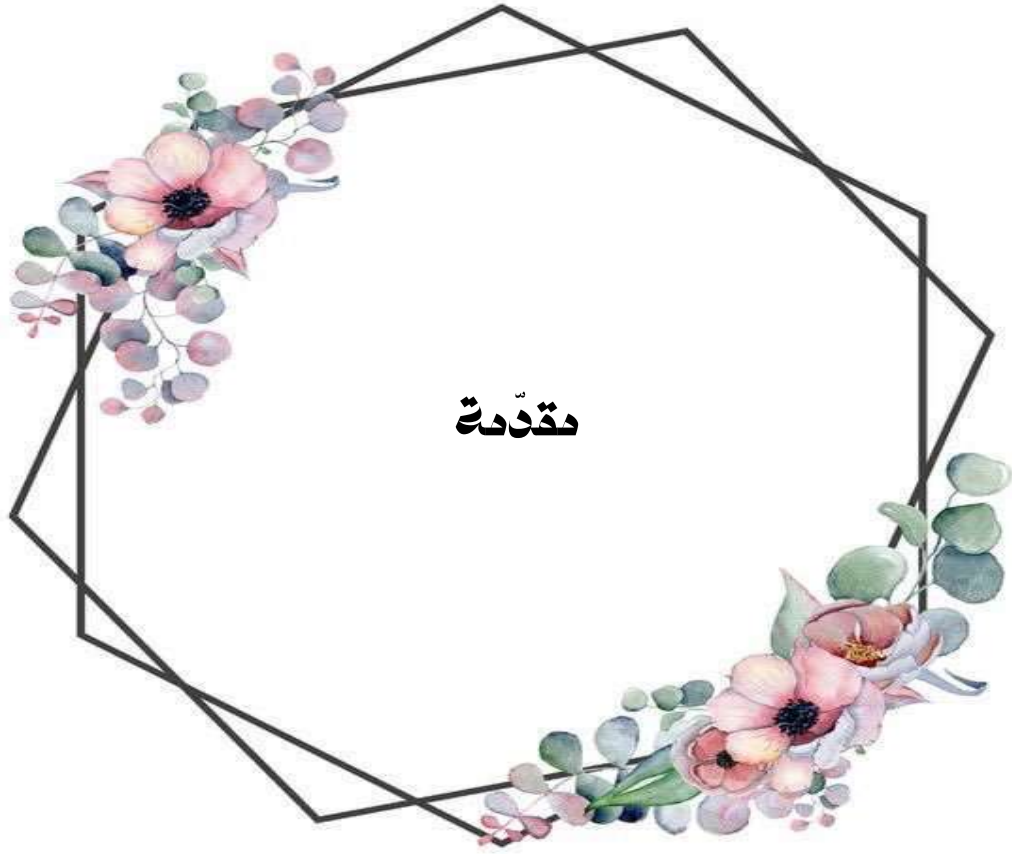
و الإرشاد جزاهم الله كل خير.

شكرا كثيرا ....

# الأهداء

أقدم جهدي المبذول وعملي المقبول إلى من قال فيهما جل شأنه.  
"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"  
إلى التي أحببت وأعطت وحننت و أثارت لي درب الحياة  
و بلسم الوجود... أمي الغالية حفظها الله و رعاها.  
إلى الذي رعى فأجاد و نصح فأحسن  
و علم فوصى أبي العزيز رعاه الله و أمد في عمره.  
إلى أعز ما أملك في الوجود إخواني.  
إلى أستاذتي وزملائي و زميلاتي من قريب أو بعيد.  
و نسأل الله التوفيق.

هيثم



مقدمة

شكّلت اللسانيات منعطفًا حاسمًا في تاريخ الدرس اللغوي، الذي اكتسب شكلًا مغايرًا ينأى به عن الدراسات التي كانت قبله؛ وذلك بأنّ أعطى للغة قالبها البنيوي الخاص، الذي أثر بشكل أو بآخر في أغلب المدارس اللسانية التي تلت المدرسة الأم، فظهرت عديد التصورات والمدارس التي قولبت اللغة بقالبها، نظرًا لما يميّز كل مدرسة في طرحها.

بيد أنّ البنيوية قد وضعت نفسها في مأزق التشدّد؛ في إطار ما يوصف باللسانيات الصارمة التي قامت بتضييق الخناق على اللغة وكيفية دراستها، وهو ما أدّى إلى ثورة اتجاهات أخرى؛ لعلّ أبرزها ما يعنينا في هذا البحث ألا وهو التيار التداولي.

ومنه استمرارا لسمة التجدد والتغيّر التي لازمت الدرس اللساني؛ فإنّ التداولية قد تصدّت لصرامة البنيوية، بحيث أعادت النظر إلى اللغة بمنظور انفتاحي، يربطها بظروف الاستعمال والتواصل.

ولما ذاع صيت هذا الاتجاه، فإنّ الدارسين العرب قد استلهموا هذا المعطى اللساني وراحوا يتقاذفونه من دراسة إلى أخرى، بتطبيق معطياته على شتى أشكال الخطاب تطبيقًا مباشرًا؛ من أجل تحليله وفكّ شفرته.

ومن بين الخطابات التي كانت فضاء خصبا للتداولية لدينا الخطاب القرآني، وهو ما تتحو صوبه هذه الدراسة، ولكن ليس بالتطبيق المباشر على الآي، وإنّما في نص الشرح؛ أي التفسير الذي خلفه أسلافنا القدامى.

ومن ثمّ الهدف منها هو البحث عن ملامح التداولية في تفسير القرآن الكريم، من خلال نموذج تفسيري، يكشف عنه عنوانها، إذ جاء العمل موسومًا: "تداولية التفسير القرآني عند الصابوني-دراسة لسانية لنماذج من الذكر الحكيم"

فبينى من هذا المنطلق على سؤال جوهرى مفاده: كيف تسهم التداولية في تفسير خطاب الذكر الحكيم ، وهل وظّفها علماؤنا في تفسير القرآن على سبيل المعطيات لا المصطلح ؟ وما هي ملامحها عند الصابوني؟.

وقد تفرّعت عن ذلك عدّة تساؤلات فرعية منها: هل كان الصابوني رحمه الله متفطّنا للبعد التداولي في الخطاب القرآني، وهل نجح من خلالها في بلوغ القصد وراء الآي القرآنية الكريمة؟.

وكأي بحث، فإنّ القيام بانتقائه ؛ بناءً على دوافع ذاتية وموضوعية، إذ يتمثّل الذاتي في ميلنا إلى مجال اللسانيات وتحليل الخطاب-مجال اختصاصنا-، ورغبة الاحتكاك المعرفي بهذا الحقل ، و الوقوف على مضامين التداولية ؛أحد أبرز تياراته ،و مدى شغفي بدراستها وتفكيك الخطابات بواسطتها.

أمّا السبب الموضوعي، فهو إدراك قيمة هذا الطرح اللساني في فهم الخطاب القرآني من خلال نموذج التفسير ،والذي اخترنا الصابوني؛ نظرا لقيمة هذا الصنيع التي نحاول إجلاءها أكثر في ضوء الموضوع العام.

وضمن هذا المسعى استلزم البحث الاعتماد على المنهجين الوصفي والتحليلي "، إذ يقترن الوصف بوصف معطيات التداولية في جانبها النظري ،وكذا التفسير على الشاكلة نفسها،أمّا التحليل فموضعه الفصل الثاني في محاولة منا لاستخلاص الملامح التداولية في بعض التفسيرات القرآنية وشرحها.

هذا ولا يخلو الأمر من مجابهة بعض الصعوبات ،أولها صعوبة المجال؛ كوننا من المبتدئين ،وهو ما استلزم منّا التعمّق أكثر في الدرس اللساني ومساره ،فضلا عن صعوبة أخرى اعترضتنا ،وهي سعة عملية التنقيب التي استفذت منّا وقتا كبيرا للبحث في مجلّدات التفسير من أجل تحصيل النماذج وبلوغ المراد منها.

ولعلّ ما صعّب الدراسة أكثر هو انعدام الدراسات السابقة التي تلامس الموضوع في حدوده المباشرة، ولكن هذا لم يمنع من الاستفادة من دراسات تشبهه مع اختلاف النموذج، باعتبار التفسير الذي نعتد عليه لم تسبق دراسته تداولياً.

فنذكر من الدراسات السابقة التي تقترب من الموضوع الاستلزام الحواري في التحرير والتتوير لدايد عبد القادر، و الاستلزام الحواري آيات من القرآن الكريم (أنموذجاً) لرضية بنت حسن باحميد، فضلا عن الإشارات الشخصية في (الكاشف عن حقائق السنن) للطبيي (ت743هـ) لعلي عبد الله حمد، ريبوار خطاب.

أمّا أهمّ المراجع التي كانت المتكأ في إعدادة، سواء ما تعلّق منها بالجانب النظري أو التطبيقي، فهي:

لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لحمو الحاج ذهبية.

في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم لخليفة بوجادي

تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية لعمر بلخير.

العايشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها للعايشي أدراوي.

اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين لمرتضى جبار كاظم.

وقد استقرّ البحث في جملته على خطّة، تضمّ أهمّ تفصيلاته التي تتفرّع إلى مدخل تناولنا فيه الإطار العام للموضوع؛ كون التداولية أساسه تصنّف ضمن مرحلة انتقالية في مسار الدرس اللساني وتحولاته.

## مقدّمة

---

ثم قسّمناه إلى فصلين ،يعالج الأوّل الجانب النظري للبحث،بضمّ مصطلحاته الأساس ومفاهيمها من تداولية وتفسير وخطاب قرآني ويأتي الفصل الثاني بحلّته التي تتناول الموضوع تناولاعليا تطبيقا، ويضاف إليهما الخاتمة التي جمعنا من خلالها نتائج ما توصّلنا إليه في هذه الدراسة ، من مستهلّها إلى نهايتها.

ختاما نسأل الله تعالى أن نكون قد وفّقنا في إنجاز هذا العمل وما التوفيق إلّا به عزّ وجلّ والخطأ من أنفسنا ،ونشكر الأستاذة المشرفة والتميّزة" الدكتورة بن عيسى " على التي ساهمت كثيرا في إخراج هذه البحث في صيغة صحيحة وملائمة للبحث العلمي، والتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

حمام بوحجر يوم: 2025/08/26.

طالب العربية: هيثم لخضر صايم حدّاش



مدخل:

الدرس اللساني من البنية

إلى الاستعمال

شغلت دراسة اللغة المتحدثين بها منذ أقدم الأزمنة، وتوالي الحضارات، ليسجل الدارسون ركاما معرفيا يحفظه تاريخ البحث اللغوي عبر القرون، وعبر امتداده المستمر، قد بلغت الدراسة محطة علمية قلبت الدرس اللغوي على أعقابه .

إذ ارتبطت هذه الحقبة بظهور اللسانيات واقتران اسمهما باسم العالم السويسري "فردينان دي سوسير"، وما قدّمه من طرح جديد، استوت من خلاله الدراسة اللسانية علما قائما بذاته، له خصوصياته المعرفية، التي تميّزه عن غيره من أشكال دراسة اللغة.

فاللسانيات "علم يختلف من حيث الهدف ومن حيث أدوات البحث والأسس النظرية والمعرفية عن النحو وعن الفيلولوجيا . وإن كان موضوع هذه العلوم جميعا واحد هو اللغة، فههدف اللسانيات الأول كما يقول دوسوسير: هو "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها"<sup>(1)</sup>.

ومنه سيطر على الدرس اللساني طابع الانغلاق في دراسة اللغة ، بمعزل عن ما هو خارجي، وهو الفكر الذي كرّسه سوسير ، وتبنت هذا الطرح عديد المدارس اللسانية التي جاءت بعده.

فالمدرسة البنيوية- كما هو معلوم- قد أثرت بشكل أو بآخر في التصوّرات بعدها، إذ فتحت الباب على مصراعيه، فتعدّدت إزاء ذلك الطروحات اللسانية، والتي نظرا لكثرتها، فإنه اقتضى الأمر تبني معيار تصنيفي، يقسمها بحسب تصنيف معين، يتسنى من خلاله للدارس أن يميّز بينها.

فيمكن إذن "التمييز بين نظريات لسانية تسعى إلى تفسير الخصائص الصورية للغات الطبيعية بربط هذه الخصائص ووظيفة اللسان الطبيعي التواصلية ونظريات لسانية تجعل من مبادئها المنهجية العامة أنّ بنية اللغات الطبيعية يسوغ وصفها وتفسيرها بمعزل عن وظيفتها التواصلية"<sup>(2)</sup>.

(1) عبد العزيز حليبي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية (تعريف. أصوات)، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص12.

(2) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص13.

لنميّز إذن بين اتجاهين أساسيين في الدراسة اللسانية الحديثة، وذلك بحسب معيار " الوظيفة" ألا وهما " الاتجاه الشكلي" أو ما يسمى بالاتجاه الصوري، وفي مقابله الاتجاه الوظيفي أو التواصلّي.

### 1/الاتجاه الشكلي في دراسة اللغة:

يتجسّد هذا الاتجاه في "تلك الدراسات التي تعنى بدراسة النظام اللغوي معزولا عن سياق التواصل الاجتماعي، إذ تنجز (...) في مستويات اللغة المعروفة، مثل المستوى الصوتي بشقيه (الفونيتيكي) و(الفونولوجي)، وفي المستوى التركيبي والدلالي. ويوسم هذا الاتجاه باللسانيات الصارمة"<sup>(1)</sup>.

هذا، وبمثله المنهج البنيوي، بما يفرضه من تصوّر صارم يجرد اللغة، ويعزلها عن سياقها الخارجي، فضلا عن المنهج التوليدي التحويلي؛ بما يجاوز به بنيوية سوسير أي التفسير القائم على الجانب العقلي للغة.

### أولا/المنهج البنيوي في صورة اللغة:

فالطرح البنيوي "يعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه"<sup>(2)</sup>. فاللغة "في نظر دي سوسير، واقع قائم بذاته، وهي لا تحتاج إلى أي عنصر خارجي لتحديدّها"<sup>(3)</sup>.

فالأولى والأصح النظر إليها كبنية مغلقة؛ في شكلها المتلاحم والمتربط بين العناصر؛ أي نظرة قائمة على الكلّ المتجانس، بمعنى كتلة واحدة محسوسة، يستأنس اللساني بالنظر إليها علميا، ووصفها وصفا دقيقا وموضوعيا.

<sup>(1)</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 2004، ص7.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص.ن.

<sup>(3)</sup> الزواوي بغورة، المنهج بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001، ص35.

وعليه "تقوم البنيوية على أساس نظري مؤداه أن البنية تتألف من عناصر ومكونات جزئية، وأن أي تغير يطرأ على أي واحد من هذه المكونات لا بد أن يؤثر في سائر المكونات والعناصر الأخرى" (1). و"لم يستعمل سوسير هذا المصطلح، بل إن "مضمون البنيوية يفصح عن نفسه، في ما أودعه (...) من نظرات في تفسير الظواهر اللغوية" (2). فهو طرح يقوم على جهاز مفاهيمي متجانس في عرض التصور الذي بناه في شكل مفاهيم يقابل بعضها بعض.

والتي تمثل حجرا أساسا في بناء صرح هذا المنهج، بدءا بتقسيم الظاهرة اللغوية إلى ثلاثة مكونات تتمثل في اللغة واللسان والكلام، أبرز ما يصادف الباحث اللساني في منظومة دي سوسير البنيوية.

فاللغة language تخرج "عن نطاق التعيد أو الضبط أو التحديد" (3)، وذلك باعتبار معناها العام الذي هو "ملكة تميز الإنسان من غيره من الكائنات (...) تجعله قادرا على التعامل مع بني جنسه عن طريق نظام من الإشارات الصوتية" (4).

وذلك في مقابل اللسان langue أساس التعيد نظرا لطبيعته، وعلاقته باللغة، فضلا عن خاصية أخرى تميزه، وكلها تجتمع، لتجعل منه قابلا لأن يكون موضوعا للسانيات دون سواه من اللغة والكلام.

فاللسان ليس سوى جزءا محددا من ظاهرة اللغة العامة، إذ يمثل حصيلة نتاج جماعي لها، ومجموع اصطلاحات يكتفها المجتمع لممارسة الملكة (5). ضف إلى ذلك أنه شيء منتظم يمكن التعيد له ضبطا من جميع مستوياته (6).

(1) إستيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008، ص161.

(2) المرجع نفسه، ص.ن.

(3) مصطفى غفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص216.

(4) المرجع نفسه، ص216.

(5) المرجع نفسه، ص.ن.

(6) المرجع نفسه، ص217.

أمّا الكلام فيأتي على طرف نقيض لميزته الفردية التي تتعلّق بالفرد، والتي تجعل منه مستبعدا من دائرة الموضوع اللساني في نظر دي سوسير؛ رغم أنّ المؤسس أشار إلى إمكانية إنشاء ما يتعلّق به من علم. فلماذا إذن تم استبعاده؟

يجيب مصطفى غلفان قائلا: "ربما يكون رفض دو سوسير للكلام كموضوع للدرس اللساني الذي كان بصدد التأسيس له باعتباره (...) عمليات إنجازية فردية ذات طبيعة غير متجانسة وغير قابلة للتصنيف، وغير خاضعة لأيّ تعقيد"<sup>(1)</sup>.

ولا نريد الخوض في هذه المسألة خاصة في ظلّ "الإشكال الذي تثيره العلاقة بين اللسان والكلام، وما يترتّب عليها من التباس وغموض في فهم أفكار دو سوسير وتوظيف مغلوط لها"<sup>(2)</sup>، كما يؤكد ذلك الباحث غلفان أيضا، لنوجّه الاهتمام صوب الدال والمدول طرفان آخران رئيسان في المعادلة البنيوية.

فهناك شيء أو مفهوم يريد الإنسان أن يتحدث عنه فلنسميه المرجع أو المدلول عليه فيبحث الإنسان في ذهنه، في النظام التقديري عن المفهوم (أي التصور الذهني) الذي ينطبق على ذلك المرجع وقد تعلمه أو ورثه بحكم تجربته عن أفراد مجتمعه ونسميه المدلول ثم يربط المدلول بالصورة الصوتية التي تتاسبه وهذه الصورة الصوتية هي عبارة تصور الإنسان للأصوات التي يتلفظ بها"<sup>(3)</sup>.

فكل من الدال والمدلول يمتلك طبيعة نفسية ذهنية، ليستقرّ دي سوسير على هذين الطرفين، ويستبعد المرجع الخارجي، متجاوزا بذلك النظرة الجاهزة للتصوّر الاسموي البسيط بين الاسم والشئ الواقعي.

(1) مصطفى غلفان، في اللسانيات العامّة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ص 223.

(2) المرجع نفسه، ص. ن.

(3) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2010، ص 21.

أما التزامن والتعاقب فلا "أحد يجادل في أنّ هذا المبدأ هو الذي ميّز اللسانيات البنيوية، وجعل منها نموذجاً للعلوم الإنسانية"<sup>(1)</sup>. فهو مبدأ أساس، عليه مدار التصور البنيوي اللساني.

ليعني "المحور التزامني أو الأفقي، أنّ الدراسة تقوم على رصد العلاقات بين الأشياء المتواجدة أو المتوافقة على أساس ثابت، ليس للزمان فيه أي دخل، وهذا يؤدي إلى دراسة الظاهرة في أنيتها أو في صورتها البنيوية. أما محور التعاقب، أو الدراسة العمودية، فتكون الدراسة فيه حسب العلاقات بين الأشياء المتتابعة على أساس التغير الزمني والتاريخي"<sup>(2)</sup>.

ونضيف إلى ذلك إلى جانب الثنائيات في التصور البنيوي ما سمّاه سوسير بالعلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية التي يرصد من خلالها المؤسس العلاقة بين عناصر اللغة وفق شكلين اثنين.

فالنوع الأوّل syntagmatic relation يتمثل في "العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة. وتضفي كل وحدة معنى إضافياً على الكل، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى (...). وتسمى هذه الأنساق الخطّية تراكيب. ففي هذه الجملة "صار الطقس بارداً"، هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات وهي صار+الطقس+بارداً"<sup>(3)</sup>.

أما على "مستوى المفردات، فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللغة كهذه المجموعة من الصوامت: ل+س+ا+ن+ي+ا+ت التي تعني مجتمعة "لسانيات"<sup>(4)</sup>.

(1) الزواوي بغورة، المنهج بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2015، ص 130.

(4) المرجع نفسه، ص 131.

فهذا النوع إذن تركيبى خطّي، يعكس الصلة البنوية بين مفردات اللغة أو وحداتها من العناصر المشكّلة لتركيب الجملة اللساني، بكيفية تتابعية على مستوى خط الجملة الأفقي، بحيث تتأثر العناصر ببعضها في إعطاء معنى إضافي لكل، فكل عنصر تتحدّد قيمته في ضوء علاقته مع غيره من العناصر السابقة أو التابعة له.

وذلك في مقابل النوع الثاني paradigmatic relations، إذ "يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها بعض في سياق واحد. وبعبارة أخرى فإنّها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلاً بل موجودة في أذهاننا طبعاً"<sup>(1)</sup>.

فمن الممكن "أن تعوّض كلمة "أصبح" ب: صار، وكان، وأضحى... وكلمة "مناخ" ب: الأمن والبحر، والطفل... وكلمة "صحوا" ب: رطبا، ومنعدما... وهكذا دواليك.

أصبح الجوّ صحوا.

صار المناخ رطبا.

كان الأمن منعدما.

أمّا على مستوى المفردات، فيكون تحديد كل صوتم (phoneme) بمقابلته بالصواتم الأخرى التي يمكن أن تحلّ محلّه في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات؛ وذلك كاستبدال الحرف الاستهلاكي ببعض الحروف، والإبقاء على الحرف الثاب والتالث كما في المفردات: نام، قام، رام، هام، دام"<sup>(2)</sup>.

(1) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 131.

(2) المرجع نفسه، ص. ن.

فهذا النوع ذهني، يقوم على الاستحضار؛ بكيفية إيحائية تجسدها عملية الاستبدال التي تتم بين العناصر اللغوية على أساس الترابط بينها ترابطا ذاكريا، إذ تحلّ صيغة محلّ صيغةٍ وبداخلها صوت قد يحلّ محلّ صوت آخر .

صفوة القول في بنية سوسير التي كوّنت الاتجاه الشكلي الصوري في اللسانيات، والتي لا يمكن حصرها بجميع معطياتها في هذا البحث أنّها طرح يعتمد على عدّة أسس ومبادئ، تحدّد ملامحه كمرحلة حاسمة في الدرس اللغوي، إذ جعلت منه درسا قائما بذاته، في ظلّ ما يميّزه من الانغلاق، وعزل الظاهرة اللغوية عن محيطها الخارجي.

### ثانيا/ تشومسكي وقالب الصورة الذهني:

تمثّل بنية تشومسكي الشق الثاني البارز في الاتجاه الشكلي الصوري الذي يركّز على بنية اللغة، ولكنه درس لساني بطابع خاص، تغلب عليه النزعة العقلية في بناء تصوّر الكلي للغة .

وعليه قد " حاز المنهج التوليدي التحويلي على انتشار واسع بين المدارس اللغوية، و تصدر مكانة عالية (...)؛ كونه يهتم بالجانب التحليلي والتفسيري بدلا من الجانب الوصفي في محاولة جدية لتقديم صورة واضحة شمولية عن بنية اللغة وميزاتها الإنسانية، وعلاقتها بالعقل والفكر الإنساني"<sup>(1)</sup>.

فتشومسكي قد غير الدرس اللساني من طبيعته الوصفية نحو التفسير؛ في محاولة لبناء تصوّر شامل، ينطبق بحيثياته الذهنية على جميع اللغات البشرية تحت مسمّى النحو الكلي *grammaire universelle* الذي يخضع أيضا إلى جهاز مفاهيمي، نشير إليه باقتضاب، في سياق التصرّور الصوري الشكلي.

<sup>(1)</sup> زكريا كامل راجح مقدادي، المنهج التوليدي التحويلي (التشومسكي)، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، العدد 1، 2020، ص 997.

## أ/الكفاية:

وهي تعني النظام النحوي الموجود تقديراً داخل كل دماغ، أي تلك القدرة التي تتكوّن لدى الفرد المتكلم ويكتسبها من أفراد مجتمع معيّن، وتمكّنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعدد لا متناه من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة<sup>(1)</sup>.

## ب/الأداء:

هو شكل عام محدّد بواسطة الكفاية أي الكلام المنطوق أو المكتوب، وهو تلك الأصوات التي ينطقها الفرد بالفعل، ويمثّل البنية السطحية للكلام الإنساني<sup>(2)</sup>.

وفي ضوء هذين الشكلين الداخلي والخارجي للغة موضوع الدراسة، يستحدث تشومسكي ثنائية "البنية السطحية" و"البنية العميقة"، في سياق ما يطرأ على الجملة من تحوّل، يخرجها من نسقها الداخلي إلى شكلها اللغوي المرئي المحسوس.

فالبنية السطحية تمثّل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل، أي إنّها مجموعة من العلامات اللسانية الملفوظة أو المكتوبة تتميز بأنّها تختلف من لغة إلى أخرى<sup>(3)</sup>. في حين البنية العميقة هي شكل تجريدي (abstract) داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثّل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية<sup>(4)</sup>.

## ج/التوليد:

مصطلح أساس لا غنى عنه في التصور اللساني لدى نوام تشومسكي، بل عليه مدار النظرية استناداً إلى تسميتها التي تفيد ارتباط دراسة اللغة بعملية التوليد، ضمن جهازها الذهني القواعدي الكامن في العقل.

(1) أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها، ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص199.

(2) المرجع نفسه، ص201.

(3) مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع13، جانفي، 2015، ص10.

(4) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص212.

ومن ثمّ، فإنّ التوليد كمصطلح لساني تشومسكي (نسبة إلى الرجل) هو " القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقاً من العدّد المحصور من القواعد -في كلّ لغة-، وفهمها، ثمّ تمييزها عمّا هو غير سليم نحوياً"<sup>(1)</sup>.

### د/ التحويل:

يرتبط هذا المفهوم بمجموع قواعد تحويلية، إذ "تحتلّ التحويلات المكانة الرئيسية والثورية في القواعد التشومسكية، وتكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية. وبعبارة أخرى، فإنّها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية"<sup>(2)</sup>.

فنظرية تشومسكي تركز لبنوية عقلية ذات جهاز قواعدي ذهني، أحدث من خلاله ثورة على بنوية سوسير التي ركزت في نظره على وصف اللغة، بينما أراد تفسيرها، والتركيز على الجانب الإبداعي الخلاق لها.

### 2/الاتجاه التواصلي في دراسة اللغة:

هو اتجاه وظيفي يربط اللغة بوظيفتها الأساسية التواصلية، وذلك " أنّ اللغة لا تظهر خصائصها إلّا من خلال المنجز التلفظي في سياق معيّن، فقد اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب، أم من حيث الدلالة المنطقية"<sup>(3)</sup>.

هذا وقد تشكّلت بوادر هذا الاتجاه مع مدرسة براغ بأفكارها وطروحاتها، إذ حاولت بناء نظرية تميّزها؛ من منطلق ما أرساه دي سوسير من دعائم بنوية، إذ مثّلت نظريته أرضية خصبة لظهور التصوّر الوظيفي لهذه المدرسة.

<sup>(1)</sup> شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،

2004، ص41-42

<sup>(2)</sup> أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص207.

<sup>(3)</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص09.

فلم "يقف هؤلاء عند الحدود التي خطها (...)"، بل حاولوا أن يدخلوا ملمحا مستقلا (...)، وذلك حين زادوا عنصرا جديدا، وهو العنصر الوظيفي الذي يعدّ انقلابا على شكلانية سوسير، فانفتحت بالواقع اللغوي وغير اللغوي، مما يعدّ بداية وإرهاصا لدخول اللغة في طور جديد، تتخلّص فيه من الشكلانية المجردة لتمزج بين الشكل والمعنى "(1)".

ولا يتسع المجال لعرض تصوّرات هذه المدرسة اللسانية، وما قدّمه أصحابها من أفكار تصبّ في قالب الوظيفي للغة، ولكن ما يمكن إضافته تأكيدا على نسقها المزدوج؛ هو طبيعة العناصر اللغوية من منظورها.

و لذا يطلق عليها اسم المدرسة الوظيفية أيضا، إذ سمّيت بذلك "لأنّ الباحث فيها يحاول دائما أن يكتشف ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا، يعني أنّه يبحث عن القطع التي تلعب دورا هامّا في التمييز بين المعاني" (2).

ومن ثمّ ينبغي، بل يجب -في اعتقادهم- أن تدرس هذه العناصر دراسة وظيفية محضة، بغية الكشف عن وظيفتها، في سياق التصرّو العام الذي يميّز المدرسة، ويطبعها بطابع التميّز الوظيفي عن لسانيات سوسير وبنويته.

وعودا إلى عموم الاتجاه، فإنه، أي الاتجاه التواصلي، يضمّ إلى جانب مدرسة براغ تصوّرات أخرى؛ على غرار مدرسة لندن أو ما يسمى بالمدرسة الاجتماعية التي يتزعمها فيرث، فضلا عن النحو الوظيفي، والتداولية، ولسانيات النص وغيرها، إذ لكلّ مجال منطقه في معالجة التصرّو الوظيفي للغة.

(1) هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص183.

(2) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص86.

ومن جانبه الاتجاه الذي نال السبق أي الاتجاه الشكلي، فنرصد إلى التصرّين السابقين كل من المدرسة السلوكية التوزيعية، ومدرسة كوبنهاغن، وغيرهما مما لا يسع المجال أيضا لعرض أفكارهم، إذ تمّ التركيز على المدرسة الأم، فضلا عن مدرسة تشومسكي التي أحدثت ثورة لسانية بظهورها.

وفي نهاية المطاف، فإنّ الغاية من هذا العرض المقتضب أن نضع القارئ لعملا أمام خريطة لسانية، تبيّن له بوضوح - رغم قلة نماذجها - أبرز اتجاهين يؤطران الدرس اللساني، الذي يشتغل في إطارهما، لنصل في نهاية المطاف إلى عنصر مهم يلي هذه الفقرة، والذي يصنّف على إطاره المجال الذي يحدّ بحثنا.

### 3/ من البنية إلى التواصل في الدرس اللساني :

يمكن القول إذن بأنّ الدرس اللساني قد عرف تحوّلًا بارزا في مساره الحديث من البنية أو الشكل إلى التواصل، ولا يعنينا من هذا التحوّل العلمي سوى ما يرتبط بالجانب التداولي منه؛ كونه موضوع دراستنا الذي يحدّ جوانبها.

فالبنية تشكّل محيط الدراسة البنيوية الذي أرسى بناءه دي سوسير، بينما التواصل يمثّل محيط اللغة في انفتاحها على السياق التواصلّي، وتمرّدها على النسق التجريدي المغلق، ما أكسب الدراسة اللسانية نمطا جديدا ومخالفا للتصوّر الضيق .

فلولا "وجود عدد من الباحثين ممن حادوا عن فكر "سوسور" لبقيت اللغة هي محور الدراسة اللغوية"<sup>(1)</sup>. ولكنّ مفاهيم اللسانيات انقلبت، بإعطاء عنصر الكلام حقّه بعد أن كان في سلّة مهملات دي سوسير، بحيث بنى علمه على تيمة اللسان دون غيره من معطيات الظاهرة اللسانية.

(1) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، (د.ط)، 2012، ص85.

وعليه" بإقرار وجود لسانيات للكلام يكون التصور الجديد للظاهرة اللغوية قد غير النظرة تجاه التواصل البشري، وأعيد النظر إلى التخاطب، فلم يعد الكلام عنصرا ثانويا في العملية التواصلية (...). فقد عولجت اللغة على أساس أنها نشاط كلامي بتكفل نظريات التداولية بذلك"<sup>(1)</sup>.

وذلك بمعنى أنه" عندما أصبح الكلام عنصرا أساسا تحوّلت اللغة-التي تجري بين قطبي التواصل بفضل الانسجام-إلى نشاط كلامي وفعالية لفظية".وهنا" تظهر نظريات التلفظ لتدخل ضمن لسانيات الكلام"<sup>(2)</sup>.

وليس هذا الجانب فحسب، بل للتداولية مفاهيم أخرى تستقرّ ضمنها، والتي تعقد الصلة بين اللغة واستعمالها، إذ نكتفي بالإشارة إليها هنا، على أن نفصلّ فيها في الفصل الثاني موازاة مع التطبيق.

### \*مباحث التداولية:

تنهض التداولية على تطبيق عدّة مفاهيم، تجسّد اللغة في حالة استعمالها، والتي نختزل أبرزها فيما يلي:

- الاستنزام الحواري
- الأفعال الكلامية
- الحجاج

فالتداولية جاءت بمفاهيم، ساهمت من خلالها في قلب وجهة الدرس اللساني، وتحويلها شطر الاهتمام بالسياق الذي لا غنى عنه في دراسة اللغة، ذلك أنّ هذا الكائن لا ينفكّ عن سياقه التواصلية الاستعمالي.

(1) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص92.

(2) المرجع نفسه، ص93.

كيف لا وأمر "القطيعة التامة التي أحدثتها البنيوية (... ) هو الذي كان وراء ظهور التداولية التي اضطلعت بإعادة اللحمة بين البنية النحوية الكامنة في اللغة ، وبين استعمالها في العملية التواصلية كواقع ملموس"<sup>(1)</sup>.

ذلك إذن مدخل هذه الدراسة بمعطياته التي حاولنا من خلالها تسييق بحثنا ،بوضعه في إطاره العلمي الخاص، لاسيما وأنّ التداولية هي ركيزة التطبيق فيه ،فكان لابدّ من عرض ملمحين اثنين للدرس اللساني ،والإشارة إلى التحوّل في مساره، لاسيما وأنّ الجانب التداولي هو محطة بارزة من مراحل التغيير فيه .

ليتنسّى لنا المرور إلى ما هو أدق؛ حين نخصّ المصطلح الأساس بفصل تنظيري ، يشمل كل ما يتعلّق به من ماهية ومباحث وأسس ،هي غايتنا من معالجة التداولية في زاوية خاصة من هذا العمل .

هذا علاوة عن معالجة ما يقترن به ،وهو الخطاب القرآني ،بحيث نقف عند هذا المصطلح أيضا،ذلك أن موضوعنا هو البحث في ملامح التداولية ضمن تفاسير العلماء ،ليس كلّها ،وإنما باختيار نموذج "صفوة التفاسير" للصابوني رحمه الله.

(1) عمر بوقمرة، التحوّل اللساني من البنيوية إلى التداولية،جسور المعرفة،العدد1، 2015،ص 46.



الفصل الأول

تفسير الخطاب القرآني والتداولية

**توطئة:**

شهدت الدراسة اللسانية- كما رأينا- انفتاحا وتحولاً في مسارها التاريخي الحديث، وذلك بتوجيه الاهتمام صوب السياق وحيثياته، والأخذ بعين الاعتبار الوظيفة الأساسية التواصلية للغة .

وأبرز ما يمثّل هذا الاتجاه التداولية ، التي عرفت اهتماماً بالغاً من الدارسين؛ في محاولة منهم لسبر أغوارها وتقصي مباحثها، ومن ثم التوصل إلى معرفة كيفية اشتغالها، سواء بدراستها دراسة نظرية أو بتطبيقها على مختلف الخطابات.

وفي هذا الصدد تأتي هذه الدراسة لتتبيّن الأمر أيضاً، ولكنها تتجاوز التطبيق المباشر على الخطاب، إذ كما يبدو من عنوانها، فإنّها لا تتعامل مع الخطاب القرآني تعاملًا تداولياً مباشراً بدراسة إحدى سورته، بل بدراسة أحد التفسيرات التي خلفها السلف، للوقوف على ملامح التداولية فيها.

فالمسألة العالقة بهذا البحث إذن ليست تداولية القرآن، وإنما تداولية التفسير القرآني، ولكنه قبل التطبيق لا بدّ من أرضية نظرية، يستوي من خلالها البحث؛ بتقديم تنظير موجز لمصطلحاته الرئيسية .

**أولاً/التداولية وما يتعلّق بها:**

نروم في هذا العنصر الوقوف عند التداولية باعتبارها الموضوع الأساس لبحثنا ، والتي " اكتسحت ميدان الأبحاث اللسانية خاصة في مجال التواصل اللساني"<sup>(1)</sup>. وأوّل محطات التنظير لها ما يتعلّق بالمصطلح ودلالاته لغة واصطلاحاً.

<sup>(1)</sup>إسراء معطي عبد الرضا، جواد كاظم سماري، التداولية: النشأة والمفهوم المعاصر، مجلة آداب الكوفة، العدد 55، ج2، آذار 2023، ص 355.

1/التداولية لغة:

يرجع مصطلح التداولية في العربية الى مادة: "دول" ،والتي خصّها اللغويون العرب بعدة تعريفات ،منها ما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) الذي يقول: "الدَّالُّ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْحَاءٍ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: ائْتَدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ"<sup>(1)</sup>.  
وأورد الزمخشري (ت538هـ) ما نصّه: "والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دول وعقب ونوب. وتداولوا الشيء بينهم"<sup>(2)</sup>.

فالملاحظ على هذا القول وسابقه أنّ مادّة "دول"، تحمل معنى التغيير والتحويل من حال إلى حال، ،إذا يشير ابن فارس- فيما يشير- إلى التحوّل المكاني ،ويشير الزمخشري إلى التحوّل في الأيام وفق سنة الحياة وإرادة الخالق عزّ وجل.

وعن باقي المعاجم ،فقد أورد ابن منظور (ت711هـ)يقول: "في الحَرْبِ أَنْ تُدَالَ إِحْدَى الْفِئْتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى، يُقَالُ: كَانَتْ لَنَا عَلَيْهِمُ الدُّوْلَةُ، وَالْجَمْعُ الدُّوْلُ، والدُّوْلَةُ، بِالضَّمِّ، فِي الْمَالِ؛ يُقَالُ: صَارَ الْفَيْءُ دُوْلَةً بَيْنَهُمْ يَتَدَاوَلُونَهُ مَرَّةً لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا، وَالْجَمْعُ دُولَاتٌ وَدُوْلٌ"<sup>(3)</sup>.

ومنه نستشفّ بأنّه ثمة ما يجمع ويقرب بين المادة العربية والمفهوم اللساني ألا وهو مبدأ التواصل وأطرافه ، باعتبار التشارك.

<sup>(1)</sup>أبو الحسين أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1، 2001،ص351.

<sup>(2)</sup>جار الله أبي القاسم الزمخشري، أساس البلاغة،دار صادر،بيروت،(د.ط.)، 1979،ص198.

<sup>(3)</sup>أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب،دار صادر،بيروت، (د.ط.)،(د.ت.)،ج11،ص252.

## 2/التداولية اصطلاحاً:

عرفت التداولية في تعاطيها عدّة تعريفات وأوصاف خصّها بها الدارسون، ممّن اهتمّوا بهذا المجال، وصوّبوا عنايتهم القصوى نحوه.

ف قيل -إذن - عن التيار التداولي بأنّه " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية واضحة" و"ناجحة"<sup>(1)</sup>.

ذلك تعريف مسعود صحراوي، ونضيف إليه تعريفاً آخرًا؛ وإن كان ليس مباشراً، بيد أنّه يصف اشتغال التداولية، في قول المؤلّف جواد ختّام عنها أنّها " تتوخّى تعميق الفهم ببعض الظواهر الخطابية المتولدة عن التواصل، من قبيل الحجاج والاستلزام الحوارية والاقتضاء، وهي ظواهر تفرض نفسها وتطفو على السطح أثناء التخاطب البشري"<sup>(2)</sup>.

**ومنه نخلص إلى أنّ هذا المنحى المغاير، يفترق تماماً عن التصوّر البنيوي؛ كونه يدرس اللغة في حالة استعمالها؛ ضمن ما يعرف بلسانيات الاستعمال، إذ يقتضي ذلك أن تفتح التداولية على السياق ومعطياته.**

وهو نفسه ما يشير إليه الباحث صحراوي الذي حصر في تعريفه كل مفردات التعبير عن هذا الشكل للتصوّر التداولي من سياقات ومقامات والخطاب والرسالة، لتتمكّن التداولية -كما يردف الوصف الثاني- من تعميق الفهم ببعض الظواهر الخطابية التي عليها مدار البحث التداولي.

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط2، 2020، ص11.

(2) جواد ختّام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص18.

هذا ويمكن أن نضيف إلى ماهيتها أقوالاً أخرى؛ من قبيل تحسيس القارئ بصعوبة القبض على مفهومها، إذ يقول خليفة بوجادي في هذا الصدد: "لا يعدّ هذا البحث أول شك في صعوبة الإمام بتعريف شامل ودقيق للتداولية، لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة"<sup>(1)</sup>.

ويضيف قائلاً: "ولعلّ أول أسباب ذلك، أنّ مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة"<sup>(2)</sup>، فالتداولية إذن مفترق طرق عديد من المجالات المعرفية، وليس حكراً على الدرس اللساني فحسب.

ومهما يكن من أمر، فإنّ التعريفات على كثرتها، وإن اختلفت شكلاً في صياغة مفهوم لهذا المصطلح إلا أنّها تتفق مضموناً - في علاقته باللسانيات - على أنه ربط اللغة باستعمالها التواصلي.

ولذا نكتفي بهذا القدر منها، لنعرّج على ما يميّز التداولية أيضاً من تعدّد المصطلحات المتاخمة لهذا الحقل اللساني؛ فالباحث في هذا المجال، يصطدم بكثرة دواله، رغم سيطرة مصطلح بعينه، وتداوله من قبل الباحثين.

### 3/ مصطلح التداولية :

عطفاً على فكرة التعدّد السابقة التي تلازم مصطلح المفهوم، فإنّه تستعمل مصطلحات "التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو البراجماتية أو الوظيفية أو السياقية..."<sup>(3)</sup>. وهي "دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة pragmatics اليونانية، المشتقة من pragma وتعني الحركة أو الفعل Action بيد أنّ مصطلح التداولية يظلّ الأكثر استعمالاً وشيوعاً بين الباحثين"<sup>(4)</sup>.

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ص52.

(2) المرجع نفسه، ص.ن.

(3) كاروان حمة باقي عبد الكريم، البعد التداولي في الخطاب القرآني (سورة يوسف أنموذجاً)، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج3، ع1، يناير، 2022، ص857.

(4) المرجع نفسه، ص.ن.

وفي سياق هذا التعدّد يعبر خليفة بوجادي أيضا بقوله: "ولعلّ أوّل صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، تتمثل في الاستقرار على مصطلح قارّ يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة؛ حيث تعدّدت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (pragmatique)"<sup>(1)</sup>.

و"ليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدّها نقلا حرفيت للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية... وبين هذه التعبيرات -في الواقع- فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي (...). لكن مصطلح التداولية الذي استخدمه المتوكّل، ومدحه الجليلي دلاش بالخفة والسلاسة، هو الذي صار مهيمنا على استعمالات الدارسين"<sup>(2)</sup>.

فالدارسون إذن يتفقون على التعدّد الاصطلاحي الذي يقابل المفهوم الذي نحن بصدد دراسته ، كما أنهم يجمعون على هيمنة مصطلح التداولية في الاستعمال ، وهو ما نلمسه -فعلا- من عناوين المؤلفات ومضامينها.

ودليل ذلك أيضا ، ما هو أقرب إلينا أو ما نحن فيه؛ من أنّ دراستنا قد حملت في عنوانها مصطلح التداولية، وهو المصطلح الذي سنلتزمه طيلة مسار البحث بدءا من عنوانه، مروراً بالتنظير ، ثم وصولا إلى التطبيق، ثم ختام العمل.

ولا مجال لإطالة الحديث عن قضية هذا المصطلح ، لأنّ المقام لا يسع ذلك ، ضف إلى هذا أنّ نوعية البحث ترتكز على المفهوم التداولي كمارسة؛ بوصفه مجالا لسانيا، ولو كان الأمر غيره، أي ما يتعلّق بعلم المصطلح، لكان الكلام عنه موسعا، ومقرونا بشرح كل دال من الدوال المشار إليها .

**ومنه نتحوّل إلى متعلّق آخر من متعلّقات التداولية، في سياق الكلام العام عنها ألا وهو أهميتها لنقف عند قيمة المفهوم في الدرس اللساني.**

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص53.

(2) المرجع نفسه، ص54.

## 4/أهمية التداولية:

تكتسي التداولية أهمية كبيرة ،وتحديدا في نقلتها النوعية للدرس اللساني ،وإخراجه من عنق زجاجة البنيوية التي قامت بتضييق مساحته ،وعزله عن ما هو خارجي،ليقوم التصور التداولي بتوسيع فضائه.

فهي "من أهم الاتجاهات اللغوية التي هدفت إلى العناية باللغة في حيز الاتصال باعتبار أن اللغة ذات علاقة بين مرسل ومستقبل لتحقيق مقاصد معينة؛ فهي تُعنى بالظروف النفسية والاجتماعية للمتكلم والمخاطب، وتجاوزت النظريات التي كانت تُعنى بالجانب الشكلي للغة بعيدا عن السياق الثقافي والاجتماعي لها"<sup>(1)</sup>.

هذا ،وقد ذكرنا سابقا أنها قاعدة اللسانيات" ، وهي مقولة الفيلسوف "كارناب" التي تجعل من التداولية أساس الدرس اللساني، مهما كان شكله.

فقد "أمّن" كارناب" الانتقال إلى اللسانيات التداولية لما رفع شعاره المعروف"<sup>(2)</sup>،ليؤكد أنّ" أي لسانيات هي بالضرورة تداولية مادامت تحيل على المتكلم وحتى على مفهوم القاعدة، بما أنّ كل قاعدة يوجد لها الاستعمال"<sup>(3)</sup>.

فالتداولية من هذا المنظور أعمق وأبعد مما نتصور لسانيا،ومن جانب آخر يُشار من قبل الدارسين إلى تركيزها على المتكلم من بين حيثيات السياق، فهو الذي اعتنت به عناية فائقة في اشتغالها.

<sup>(1)</sup>فاطمة عبد الله ناصر العازمي ،رابحة محمد ضعيف الرشيدى،الفكر التداولي عند السهيلي (581هـ)دراسة لغوية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا،مج46، ع1، 2022ص2.

<sup>(2)</sup>مرتضى جبار كاظم،اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2015،ص18.

<sup>(3)</sup>فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان،ترجمة:صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع،سورية، ط1، 2007،ص45.

فقد " أعطت أهمية كبيرة للمتلقي على حساب الظروف السياقية والباث نفسه" (1)، وفي جميع الأحوال يصوّر لنا مسعود صحراوي مهامها التي نختزلها في النقاط التالية (2):

- دراسة استعمال اللغة، وهي الدراسة التي لا تركز على البنية ذاته، ولكن اللغة في الاستعمال المقامي المختلف، باعتبارها كلاماً محدداً عن متكلّم محدّد، وموجّه إلى مخاطب محدد وبلفظ محدّد ضمن مقام تواصل محدد من أجل تحقيق الغرض التواصلي المحدّد.
- شرح كيف تجري العمليات الاستدلالية في عملية معالجة الملفوظات.
- تبين أفضلية التواصل غير المباشر، وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- تضطلع التداولية بشرح الأسباب التي تؤدي إلى فشل المعالجة اللسانية الصرف في معالجة الملفوظات.

فالتداولية إذن محطة مهمّة من محطات اللسانيات بطابعها السياقي التواصلي الذي يعيد الاعتبار إلى ظروف إنتاج اللغة، ذلك أنّ اللغة ليست محكومة ببنيتها اللغوية فحسب، بل محكومة بوظيفتها التواصلية التبليغية، التي تخضعها إلى ظروف إنتاج معيّنة.

ومنه ننتهي إلى القول بأنّه لا يمكن تصوّر الدرس اللساني بدون تداولية التي علا شأنها، والتي تجاوزت مجالها اللساني، لتتّجه صوب مجالات أخرى، فتلقي بظلالها على مجال النقد مثلاً بارزا، حيث اعتمد عليها في مقارنة النصوص وفهمها.

وهذا في ظلّ نشاط الحركة النقدية الحديثة لاسيّما التي تستند إلى مخرجات الدرس اللساني، وما قدّمته نتائج دراسة اللغة، منها التداولية وما تقترحه لدراسة النص الأدبي ومن ثمّ الظفر بالدلالة الكامنة فيه، وفي نفس منتجه ومتلقّيه ضمن عناصر السياق المختلفة التي تؤطر عملية إنجازه وأدائه (3).

(1) خلف الله بن علي، التداولية مقدّمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج14، ع1، 2015، ص221.

(2) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

(3) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص5.

وليس هذا مجال التفصيل في توأمة المجالين اللساني والنقدي، وإنما هي إشارة عابرة في سياق الحديث عن أهمية التداولية، لننتقل إلى ما تستقرّ عليه من مفاهيم هي بمثابة مباحث أساسية لها، والتي نقف عند أبرزها في العنصر الموالي.

### 5/درجات التداولية:

تنهض التداولية تياراً مهماً، في ضوء مباحثها وتقسيمها إلى درجات التي تؤسس كينونة هذا الطرح اللساني، الذي تتداوله كتب الاختصاص، وفي سياق عرضها سنكتفي بلمح يسير عنها، ذلك أنّ تفصيل الحديث عنها سيكون ضمن الفضاء التطبيقي للبحث؛ أين سنعرض المبحث وما يتعلّق به، ثم نطبّقه على النموذج تطبيقاً مباشراً. فما هي مباحث التداولية؟.

فهو تقسيم شهير للتصوّر التداولي، والذي تصنّف من خلاله إلى درجات، تتمثّل في تداولية الدرجة الأولى، والدرجة الثانية، و الدرجة الثالثة.

### 1/تداولية الدرجة الأولى أو نظرية الحديث(1):

و" أشهر من نظر لهذه النظرية العالم اللغوي الفرنسي إميل بنفنيست (E.Benveniste) الذي أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة و اللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات التي يسميها بنفنيست "المؤشرات"، يكمن دورها في تصيير اللغة خطاباً فعلياً. هذا التعبير يسميه الحديث Enonciation وهو إجراء اللغة و تحقيقها من خلال فعل كلامي فرديو يعكف الدارسون في هذا المستوى على دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتيّة في اللغويّة"<sup>(2)</sup>.

(1) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مجلة إنسانيات، ع14-15، ماي

2001، ص104.

(2) المرجع نفسه، ص.ن.

## 2/ التداولية من الدرجة الثانية أو نظرية قوانين الخطاب(1):

و" هي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الحقيقية للقول، و هي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، بالسعي وراء استنباط و معرفة العمليات المتسببة في ذلك فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة و من الأقوال المضمره و الاحتجاج..."(2).

## 3/ التداولية من الدرجة الثالثة أو نظرية أفعال الكلام(3)

ترتبط هذه الدرجة بأبرز نظرية في الطرح التداولي ألا وهي نظرية الأفعال الكلامية لزعيما أوستين، والتي أسهمت بشكل كبير في بلورة هذا التصور، وسار على نهجه تلميذه سيرل الذي قام بتطويرها.

و"تطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية"(4).

وبعد عرض درجات التداولية إذن، واختزالها في هذه الأسطر، فإننا نخلص إلى أبرز مباحثها الأساسية في الاشتغال، والتي تتمثل في الإشارات، والاستلزام الحوارية، والحجاج، ونظرية الأفعال الكلامية.

لننتقل بعدها إلى الشق الآخر من التنظير، الذي يتعلّق بمصطلح الدراسة الثاني ألا وهو التفسير القرآني، لنقف أيضا عند ما يتعلّق به من ماهية وأنواع وخصائص، فضلا عن أهميته للنص القرآني.

(1) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص104.

(2) المرجع نفسه، ص105.

(3) المرجع نفسه، ص.ن.

(4) المرجع نفسه، ص.ن.

ثانيا/التفسير ومتعلقاته:

تُضبط ماهية التفسير بالوقوف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي، وهو ما نستهلّ به في سياق الحديث عن المصطلح.

1/التفسير لغة:

ترتبط الكلمة بجذرها الأصلي، وهو مادّة "فسر" ،فقد أورد الزمخشري (ت538هـ) في أساس البلاغة " مانصّه:" هذا كلام يحتاج إلى فسِرٍ وتفسير، وفسر القرآن وفسّره. ونظر الطبيب في تفسرة المريض وهي مأوه المستدلّ به على علّته وكذلك كلّ ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته .ويقال :ما استفسرته عن هذا وما تفسرته عنه"(1).

وجاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ)، قوله:" الفَسْرُ: البَيَانُ. فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ، بِالكَسْرِ، وَيَفْسُرُهُ، بِالضَّمِّ، فَسَّرًا وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالنَّفْسِيرُ مِثْلُهُ"(2).  
أمّا الزبيدي(ت....)،فقد ذكر في تاجه " الفسر: الإبانةُ وكَشَفُ الْمُغْطَى كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، أَوْ كَشَفُ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ، كَمَا فِي الْبَصَائِرِ، (كَالتَّفْسِيرِ .وَالفِعْلُ كضَرَبٍ وَنَصَرَ) يُقَالُ: فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ وَيَفْسُرُهُ وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ. "(3).

فالتفسير إذن يحمل معنى الإيضاح في اللغة ،كما تنصّ عليه التعريفات التي أمام ناظرنا أقوالها ، وغيرها أيضا يشير إلى المعنى ذاته الذي يتّصل باللفظ،وهو ما يجعله يرتبط بمعناه الاصطلاحي.

فثمة تقاطع دلالي واضح بين المعنى المعجمي وتعريف التفسير اصطلاحا؛ذلك أنّ الأخير يفسر القرآن الكريم؛وتفسير كتابه عزّ وجلّ هو شرحٌ وتوضيحٌ لألفاظه ومعانيها.

(1) جار الله أبي القاسم الزمخشري، أساس البلاغة،ص473.

(2) أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب،ج5،ص55.

(3)السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق،حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، 1974، ج13،ص323.

2/التفسير اصطلاحاً:

صاغ العلماء والدارسون عدّة تعريفات للتفسير، تصبّ في الدلالة الاصطلاحية لهذا المفهوم، الذي يقابله التّأويل، ولعلّ أبرز تعريف هو حدّ الزركشي (ت794هـ)، الذي بسط تعريفه في كتابه "البرهان في علوم القرآن".

يقول: "التفسيرُ علمٌ يُعرفُ به فهمُ كتابِ اللهِ المُنزَّلِ على نبيِّه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَبَيِّنُ مَعَانِيهِ وَأَسْتَحْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكْمِهِ وَأَسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ النِّبَانِ وَأُصُولِ الفِقهِ والقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أسبابِ النُّزُولِ وَالتَّاسِخِ وَالمُنْسُوخِ"<sup>(1)</sup>.

فالتفسير إذن علمٌ غايته فهم الكتاب الإلهي المنزل على رسوله، بتتبع معاني الكلمات وليس هذا فحسب، بل تستخرج بواسطته الأحكام والحكم من كلام الشارع عزّ وجلّ، ولا يتم ذلك إلى في ضوء علاقته بعلم اللغة ونحوها وصرفها وبيانها، فضلاً عن أصول الفقه، وعلم القراءات القرآنية، وما يتطلبه من إلمام ومعرفة بأسباب النزول التي تحيط بالسور والآي والناسخ والمنسوخ منها.

وعرّفه الجرجاني (ت816هـ) بأنّه "توضيح معنى الآية وشأنها وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة"<sup>(2)</sup>. فمن خلال هذا التعريف، يمكن الربط بين وصف قرينة التفسير والمعنى المعجمي السابق، ذلك أنّ الظهور يفيد الوضوح.

والى المعنى ذاته يشير تعريف ابن عاشور بقوله: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وما يستفاد منها باختصار أو توسّع"<sup>(3)</sup>.

(1) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخران، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص104-105.

(2) الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص57.

(3) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج1، ص12.

### 3/ الفرق بين التفسير والتأويل:

يقابل التفسير لفظ التأويل ، وثمة من الملامح التي تفرق بين اللفظين المتلازمين عند الحديث عن فهم كلامه عزّ وجلّ، ويقتضي الأمر قبل نعرج على الفروقات أن نقف عند معنى التأويل أيضا في بابهِ اللغوي ومعناه الاصطلاحي.

#### 1/ التأويل لغة:

التأويل لغة من " أول " ، يقول ابن فارس: " وَآلَ يُوُولُ، أَي: رَجَعَ . قَالَ يَعْقُوبُ : يُقَالُ " :أَوَّلَ الْحُكْمِ إِلَى أَهْلِهِ " ، أَي: أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ . قَالَ الْأَعَشَى: أُووِلُّ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ"(1). وعند الزمخشري: " آل الرعية يوولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وأتالها وهو مؤتال لقومه مقتال عليهم أي سائس محتكم"(2).

ويقول ابن منظور: " وقال أبو عبيد في قوله: وما يعلم تأويله إلا الله، قال: التأويل المرجع والمصير مأخوذ من آل يوول إلى كذا أي صار إليه. وأولته: صيرته إليه"(3).

يظهر من التعريفات اللغوية لجذر كلمة "التأويل" أنه بمعنى الرجوع والمصير ، بردّ الشيء كالحكم إلى أهله كما ينصّ ابن فارس ، وبتبعية الرعية إلى قائدها ،الذي إليه مردّ الأمور في تسييرهم وقيادتهم، علاوة عن ارتباط المعنى بالتحويل؛حين يصير الشيء إلى حال من الأحوال ؛فأولته كما قال ابن منظور صيرته إليه.

وفي هذه المعاني ما يجعل المعنى المعجمي ،يرتبط بالمدلول الاصطلاحي للفظ ،ضمن سياقه العملي الخاص بفهم كلام الله عزّ وجلّ ؛ذلك أنّ الغرض من هذه الممارسة هو تجاوز

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،ص82.

(2) جار الله أبي القاسم الزمخشري، أساس البلاغة،ج1،ص25.

(3) أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب،ج11،ص34.

الظاهر إلى الباطن ، وهو ما يقودنا إلى استحضار الحدّ الاصطلاحي للتأويل، إذ شهد تعريفات شتى جادت بها أقلام العلماء والدارسين ، والتي إن اختلفت لفظاً إلا أنها تتفق معنى في الفصل بينه وبين نظيره التفسير .

## 2/التأويل اصطلاحاً:

فالتأويل كما يعرفه الجرجاني هو " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلاً"<sup>(1)</sup>.

ومن ثمّ التأويل يهتم بباطن الفهم، ليتسنى لنا بعد تعريفه عرض أهمّ الأقوال في الفرق بينه وبين التفسير الذي يزاحمه من بين علوم القرآن التي تحيط بكلامه عزّ وجلّ. فما هو الفرق بين العلمين؟

الباحث في هذه المسألة ، يلفت نظره تعدّد الأقوال بشأنها، لذا سنكتفي بعرض السيوطي للمسألة في الإتيان وليس كل الأقوال طبعاً نظراً لكثرتها، وإثماً بعضها، إذ يقول: "واختلف في التفسير أو التأويل، فقال أبو عبيدٍ وطائفةٍ: هُمَا بِمَعْنَى: وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ حَتَّى بَالَغَ ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ، فَقَالَ: قَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ لَوْ سُنِلُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ

وَقَالَ الرَّاعِبُ: التَّفْسِيرُ أَعْمٌ مِنَ التَّأْوِيلِ؛ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِهَا وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعَانِي وَالْجُمَلِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا

(1) الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص46.

وَقَالَ غَيْرُهُ: التَّفْسِيرُ بَيَانٌ لَفْظٍ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالتَّأْوِيلُ تَوْجِيهُ لَفْظٍ مُتَوَجِّهٍ إِلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا، بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْأَدِلَّةِ

وَقَالَ المَاتَرِيْدِيُّ: التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُحْتَمَلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى اللَّهِ<sup>(1)</sup>.

ويواصل السيوطي في عرض آراء العلماء بقوله: "وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ التَّغْلِبِيُّ: التَّفْسِيرُ بَيَانٌ وَضَعِ اللَّفْظِ إِذَا حَقِيقَةً، أَوْ مَجَازًا، كَتَفْسِيرِ الصَّرَاطِ: بِالطَّرِيقِ وَالصَّيْبِ: بِالْمَطَرِ وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرٌ بَاطِنِ اللَّفْظِ مَاخُودٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الرَّجُوعُ لِعَاقِبَةِ الْأَمْرِ"<sup>(2)</sup>.

ولعلَّ أبرز قول هو بمثابة اختزال للفرق، والذي عرضه السيوطي أيضا بعد قول الأصبهاني قائلا: "وَقَالَ غَيْرُهُ: التَّفْسِيرُ يَتَعَلَّقُ بِالرَّوَايَةِ، وَالتَّأْوِيلُ يَتَعَلَّقُ بِالدَّرَايَةِ"<sup>(3)</sup>.

وغيرها كثير من الأقوال التي يسع مجال البحث لتتبعها كلها في كتب العلماء أو عرضها على لسان عالم منهم، لنكتفي بهذه الأقوال التي قام صاحب الإتيقان بتجميعها، والتي نستخلص منها بعض الملامح اختصارا في مايلي:

- عمومية التفسير.
- ارتباط التفسير بالألفاظ والتأويل بالمعاني والجملة.
- للتفسير وجه واحد، وللتأويل عدة أوجه.
- التفسير قطع بدليل، والتأويل ترجيح.
- التفسير يتعلّق بالرواية والتفسير عقلي بالدراية.

<sup>(1)</sup> جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص758.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص.ن.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص759.

#### 4/أهمية التفسير وأنواعه:

تتجسد أهمية التفسير، في ضوء ما يقدمه لكتابه عزّ وجلّ ضابطُ حياة المسلمين ومرشدهم إلى الخير والفلاح؛ ذلك أنّ الامتثال لتعاليم الدين مرتبط بالقرآن الكريم، وفهم الأخير منوط بعلوم تدور حوله التي تتيح الفهم، منها هذا العلم.

ومن ثمّ "لعلم التفسير أهمية بالغة، ذلك لأن القرآن أنزله الله ليتدبره الناس ويفهمونه، وبالفهم تستريح الأنفس للعمل به وتطبيق ما فيه"<sup>(1)</sup>.

ولذا وهب العلماء أنفسهم، وسخّروا جهودهم لفهم كلامه جلّ جلاله، وظهرت للأعيان والعقول تفاسير عديدة، جادت بها أقلام من شغفهم الاهتمام بما أوحى به ربّ الكون إلى نبيّه الكريم لأداء رسالته.

ولا يمكن أن نغفل أيضاً تباين التفسير وشكله، هو ما أدى إلى تنوع أنواعه، والتي نكتفي بالإشارة إليها فقط دون تفصيل القول حتّى لا ينحو البحث صوب تخصيص معين، لاسيّما وأنّ دراسات مشابهة المجال -أي التفسير- قد أشارت إليها من دون شك.

ولذا ما على القارئ سوى الرجوع إليها ليستفيض في أنواع التفسير التي تتمثّل في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، والتفسير الإشاري.

#### 5/التفسير التداولي للخطاب القرآني:

وهنا لبّ الموضوع بعد جملة تقديمات اصطلاحية استلزمها البحث في عموميته قبل التطبيق، لنصل إلى أهمّ جزئية، وهي كيفية التفسير التداولي للخطاب القرآني، لاسيّما وأنّ دراستنا تعتمد على نموذج تفسيري، نروم من خلاله إجلاء ملامح التداولية.

<sup>(1)</sup> عماد علي عبد السميع حسين، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، (د.ط)، 2006، ص11.

### 1/ في ماهية الخطاب والخطاب القرآني:

يقتضي الحديث عن الخطاب القرآني أن نقف أولاً عند ماهية مصطلح الخطاب، إذ يرتبط هذا المصطلح بجذره الأصلي "خطب" في معاجمنا العربية.

جاء في مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس القزويني (ت395هـ): "الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ (...) وَالْخُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ"<sup>(1)</sup>.

وفي اللسان قول ابن منظور الإفريقي (ت711): "وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ. اللَّيْثُ: وَالْخُطْبَةُ مَصْدَرُ الْخَطِيبِ، وَخَطَبَ الْخَاطِبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَاخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً"<sup>(2)</sup>.

ومن ثم الخطاب بناء على جذره الذي يتأصل به هو بمعنى تبادل الكلام، والذي يقتضي وجود طرفين أساسيين في العملية التخاطبية هما الباث والمتلقي، لتتطبق حركية التوجيه - فقط - لا غير أي توجيه الكلام أو لنقل الرسالة درءا لمسألة الصفات من الخالق عز وجل لنيبه ولعباده، ذلك أن ذات الإله مقدسة تختلف عن المرسل البشري.

ذلك من الناحية اللغوية أما الاصطلاحية؛ فالخطاب كما يصفه ميشال فوكو هو: "شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية و الثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب"<sup>(3)</sup>.

**فهذا الكلام قد ينسحب على الخطاب القرآني، لاسيما إذا علمنا بأنه أي القرآن الكريم نص إلهي بمراعاة الموجه إليهم، وما يرتبط بحياتهم من جميع جوانبها.**

(1) أبو الحسين أحمد أبو فارس، معجم مقاييس اللغة، ص304.

(2) أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص361.

(3) مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني - قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، ص24-25.

وكما يقول عبد الجليل منقور عنه أنه: "رغم سموّ أحكامه، ومطلق حقيقته، إلا أنّ ذلك لا يمنع عنه واقعية تعابيره ودلالاته، وانتمائه -رغم سموّ مصدره- إلى نظام ثقافي واجتماعي يملك هو سرّ مجاراته ومحاورته ومجاورته وإرساء آليات التأويل ومفاتيح التوصل إلى مقصدية الخطاب"<sup>(1)</sup>.

وقبل التعرّيج على مصطلح "الخطاب القرآني" أساس دراستنا، والذي يمتلك ماهيته التي تميّزه عن باقي أنواع الخطابات، ضمن نطاق ماهو مقدّس، فإنّ ينبغي الإشارة إلى مسألة الخلط بين النص والخطاب.

ولسنا هنا بصدد عرض القضية ولا التفصيل فيها؛ ذلك أنّه لا تتعلّق ببحثنا تعلّقاً مباشراً، وإنّما جاءت في سياق الحديث الاصطلاحي عن مصطلح الخطاب، إلا أنّنا نستحضر من أقوال الدارسين ما يزيل الالتباس عنها.

يقول أحدهم : "إنّ الخطاب، وإن كان لغة، إلا أنّه يتجاوز اللغة، لأنّه أثناء تحليله، ومحاولة الوقوف على طرق إنتاج الدلالة فيه، تراعى أطراف غير لغوية معلنة، على خلاف النظر الذي يميّز النص، على أنّه بيئة مغلقة"<sup>(2)</sup>.

### • في ماهية الخطاب القرآني:

يراد به "كلام الله موجها في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص مباشر للرسول صلى الله عليه وسلم، وبشكل عام لسائر الناس"<sup>(3)</sup>.

(1) عبد الجليل منقور، النص والتأويل -دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010، ص37.

(2) نوارى سعودي أبو زيد، المنهج التداولي في مقاربة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، مجلة فصول، مصر، ع77، 2010، ص121.

(3) خالق داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور -باكستان، ع22، 2015، ص60.

فالخطاب القرآني إذن له قدسيته مقارنة بباقي أنواع الخطاب، كونه من الحقّ جلّ جلاله الذي يكلف عباده، وهو أدرى بمقاييس الحياة التي سنّها لهم في دينهم الذي أنزله على خير أمته، وخير رسول ليبّغ رسالته الخطابية.

وفي ظلّ قدسية هذا الخطاب الذي يمتلك خصوصيته المميّزة، فإنّ السؤال الذي يتردّد هل يصحّ أن يدرس بمعايير حديثة، لاسيّما التي هي ضمن مخرجات الطرح اللساني من تيارات ونظريات لسانية؟.

يجيب عن ذلك عبد الحليم بن عيسى بقوله: "لابدّ من مواصلة المسار الإبداعي في تناول النصّ القرآني، يتمّ ذلك بالاستفادة ممّا درّ به الفكر الحديث من جهة، وما توصّل إليه أهل التراث في هذا المجال من ثمانية؛ لأنّ حضارة التطوّر لا تبنى على الهدم والإلغاء، بل تشيّد على المواصلة والتطوّر، يتمّ ذلك عن طريق تحديث أدواتنا ومناهجنا في دراسة النصّ القرآني، وعدم تعقيم فكرنا بالاكْتفاء بما سطره الفكر الموروث وكأئنّا قد وصلنا إلى منتهى المعرفة"<sup>(1)</sup>.

ونضمّ رأينا إلى رأي الباحث في ضرورة انفتاح الخطاب القرآني على مستجدّات المعرفة العلمية، خاصّة اللغوية منها، ولكن بما يراعي الحفاظ على القداسة المطلقة له، واستثمار ما استجدّ من معطيات العلم في خدمته.

ومن هذا المنطلق، تسهم تصوّرات اللسانية، وبشكل كبير في فهم الخطاب الربّاني المائل في سور الكتاب وآياته، منها التداولية؛ ولكن بالشكل الذي نريد من هذا البحث ألا وهو تقصّي ملامحها في خطاب الفهم أي التفسير، وهو ما يقودنا للحديث بشكل عام قبل التخصيص عن أثر التداولية في تفسير القرآن الكريم.

## 2/ التفسير التداولي للخطاب المخصوص:

(1) بن عيسى، عبد الحليم، اللسانيات والنصّ القرآني، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، مج2، ع2، 2003، ص282.

ما يقرب أكثر بين الخطاب القرآني والتداولية هو السياق، فهو بمثابة خيط الوصل بينهما، باعتباره أساس التصور التداولي، ومن جانب آخر، فإنّ الخطاب القرآني مرتبط بسياقه وحيثيات نزوله.

ومن ثمّ لا مناص من تداولية القرآن الكريم، سواء في تفصيها تفصيًّا مباشرًا، من خلال دراسة مباحثها ضمن آياته، أو من خلال إجلاء ملامحها في أحد التفاسير - كما سنعمل؛ بغية الوقوف على مدى إدراك المفسرين لقيمة الخطاب القرآني في حيوية استعماله.

فلما نعد إلى هذا النوع من الدراسة، فإنّ نزعتنا في سبيل خدمة الكتاب العزيز، وهو ما يعطي دراستنا لأفهام المفسرين مرونة وطواعية، والتي تنعكس من دون شك على فهم الخطاب القرآني بروية لسانية حديثة.

ولا ضير في ذلك، ولا مانع استنادا إلى صلاحية القرآن لكلّ زمان ومكان، على أن يكون استخلاص الملمح التداولي فيما نحن فيه، بما يحافظ على الدلالة الأصل المبتغاة، أي ما يقتضيه الخطاب الرباني في سياق توجيهه وإنجازه.

### خلاصة الفصل:

كانت لنا وقفة تنظيرية ضمن هذا الفصل، بعد الأولى في المدخل الذي اختصّ بوضع مجال البحث في سياقه المعرفي اللساني بدقّة.

فكما رأينا، فإنّ أوّل فصول هذه الدراسة، قد تمّ تركيز القول فيه على مصطلحات رئيسة، تضع القارئ أمام جهاز مفاهيمي، يؤطر عملية تتبّعه للمفاهيم والربط بينها، ومن ثمّ فهم ما تصبو إليه الدراسة.

فعصب البحث فيها يبنى على ثلاثة مفاهيم أساسية هي التداولية والتفسير والخطاب القرآني، وكلّها مصطلحات تمّ عرض ماهيتها بدءًا بالتصور التداولي ونمطه الخاص في التعامل مع اللغة، مرورًا بالخطاب القرآني بخصوصيته المنقرّدة، ثمّ وصولًا إلى التفسير وواقترانه بالتداول اللساني، وهو ما نروم تطبيقه عمليًا في جزئية الفصل الثاني، من خلال نموذج "صفوة التفاسير" للصابوني.



توطئة:

نسعى في هذا الفصل الثاني الموسوم: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية إلى رصد ملامح التداولية في "صفوة التفاسير"، لصاحبه الصابوني؛ وذلك انطلاقاً من بعض مباحث هذا التيار اللساني، التي توطر اشتغاله.

فهو فصل يلامس جوانب التطبيق بعد نظيره الأول الذي كان بمثابة أرضية نظرية بسطنا من خلالها بعض المفاهيم، التي فتحت لنا أبواب الولوج إلى المطلوب بحثاً في تفاسير العلماء؛ بغية ربطها ربطاً علمياً بمعطيات الدرس اللساني.

1/ لمحة عن الصابوني وتفسيره:

من العلماء المحدثين الذين تصدّوا لتفسير كتابه عزّ وجلّ لدينا العالم الجليل " محمد الصابوني"، من " من مواليد 1350هـ ، 1930م بمدينة حلب بسورية ، حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وكان والده من كبار علماء حلب ، فتلقى على يديه علوم الدين ، وعلوم العربية والفرائض، ثم درس بالثانوية الشرعية فتلقى فيها العلوم الحديثة والعلوم الدينية معاً"<sup>(1)</sup>.

وبعد تخرجه منها بدرجة امتياز أوفدته وزارة الأوقاف السورية للدراسة على نفقتها في الجامعة الأزهرية بمصر، وتخرج منها سنة 1952م بدرجة امتياز ، والتحق بعدها بالدراسات العليا بالجامع الأزهر فحصل على الشهادة العالمية، وتخصص في القضاء الشرعي عام 1954م ، ومنها رجع إلى سوريا وقد عين أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب ودور المعلمين ، وبقي في التدريس لعدة سنوات . وفي سنة 1960م رجع لاستكمال دراسته بالجامعة الأزهرية للدراسات العليا" قسم الدكتوراة "ولكنه لم يتمكن من الحصول عليها للظروف السياسية وسوء العلاقات بين مصر وسورية"<sup>(2)</sup>.

(1) علي زواري أحمد، قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد8، 2015، ص221.

(2) المرجع نفسه، ص.ن.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ويضيف أحمد زواوي ؛ مشيراً إلى محطة أخرى من حياته قائلاً: " وفي عام 1382هـ طلبت المملكة العربية السعودية من وزارة المعارف السورية إعارة بعض الأساتذة للتدريس بالمملكة ، فكان أحد المرشحين للتدريس بكليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة وهم ا نواة جامعة أم القرى . وأمضى في التدريس خمسة وعشرين عاما . ثم رأت إدارة الجامعة الاستفادة من خبراته في مركز إحياء التراث الإسلامي والبحث فأسندت إليه تحقيق بعض كتب التراث ، وفي عام 1409هـ طلبت رابطة العالم الإسلامي نقل خدماته إليها بعد أن أمضى في خدمة الجامعة 28 سنة ؛ فوافقت الجامعة على ذلك و انتقل الشيخ للعمل في رابطة العالم الإسلامي كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وبقي فيها عدة سنوات قبل أن يتفرغ للتأليف والبحث العلمي"<sup>(1)</sup>.

هذا ؛ويقف الباحث في تاريخ هذا العالم على مؤلفات كثيرة خلفها الرجل، بعد أن وافته المنية منذ أربع سنوات عام 2021، لعلّ أبرزها كتاب " صفوة التفاسير " الذي نحن بصدد دراسته. **فماهي مكانته العلمية بين التفاسير؟.**

يستمدّ هذا الكتاب أهميته من تسميته، فهو كما قال المؤلف في مقدّمته: " وقد أسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك لأنّه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصّلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان "<sup>(2)</sup>.

وهو ما يستحقّ أن يأخذه الباحث بعين الاهتمام ،ليدرك طريقة تأليفه، ولمسته في شرح كتاب الله وفهمه ،وفق المنهج الذي ارتضاه الصابوني، بيد أنّ دراستنا تكتسي طابعا من التجديد، في محاولة منّا للبحث عن تجلّيات العلم اللساني الحديث في ما رسمه الرجل من شرح لآي القرآن الكريم.

(1) علي زواوي أحمد، قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير، ص221-222.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981، ج1، ص20.

2/ الملامح التداولية في صفة التفسير:

2-1 نظرية الأفعال الكلامية وتجلياتها:

يطلق هذا المصطلح للدلالة على مفهوم مركزي في التداولية، والذي يرتبط بالعالم أوستين، الذي يرجع إليه فضل بلورته، ليكون الفعل الكلامي رؤية خاصة للغة في ارتباطها بمجال الاستعمال التداولي .

ويُختزل منظور هذا التصور كما يقول صحراوي "في كونه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري (...). ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية(كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ)<sup>(1)</sup>.

وفي تعريفات الغربيين ،نستحضر تعريف ما نغونو بقوله: "المقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...) غاية تغيير حال المتخاطبين، إنَّ المتلفظ المشارك (...). لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"<sup>(2)</sup>.

ويفهم من ذلك أننا حين نتكلم لا ننتج أصواتا منطوقة فحسب، أو ننتج كلمات، أو نصوص تراكيب، بل ننجز أفعالا بواسطتها.

هذا ويعدّ أوستين في الدرس اللغوي الغربي مؤسس هذه النظرية التداولية، وسار على نهجه سيرل في تطويرها، ومن ثمّ نميّز بين مرحلتين في دراسة هذا المفهوم؛ هما مرحلة التأسيس والنشأة، ثم مرحلة التطوير التي تبنّاها التلميذ.

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص54-55.

(2) دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص07.

▪ مرحلة التأسيس لدى أوستين:

تبنّى أوستين هذا الطرح "في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الاثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 ونشرت سنة 1962 بعد موته في كتاب عنوانه how to do things with words"<sup>(1)</sup>.

وترجمة هذا العنوان هي "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، إذ يقوم التصوّر على نوع مخصوص من الجمل، بناء على التباين بينها وبين نوع آخر؛ لتجاوز النظرية النوع الأول وتوسّع إلى إثبات الثاني إلى جانبه.

فقد نبّه أوستين إلى "أنّ دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب. وأنّ القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته ممّا ينتج عنه تغيير في وضع المتلقّي، وتأثير في موقعه"<sup>(2)</sup>.

وعليه قوام النظرية، يبني أساسا على نوع الجمل المسماة "الإنجازية" أو "الأدائية"<sup>(3)</sup>، وأمثلة ذلك في العربية كثيرة؛ كأن "يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق"<sup>(4)</sup>. أو "أن تقول الأم فور الولادة: سميتها (هداية)"<sup>(5)</sup>.

فهذا النوع حاصل فعل اللغة، فالمتكلم حين قال أنت طالق، والمرأة حين قالت سميتها هداية قد تحقّ فعلٌ بواسطة اللغة من الطرفين، هما فعل الطلاق وفعل التسمية، فيطلق على النوعين تسمية الجملة الإخبارية أو الأدائية.

(1) محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.م)، (د.ط)، 2002، ص60.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص73.

(3) المرجع نفسه، ص.ن.

(4) المرجع نفسه، ص74.

(5) المرجع نفسه، ص75.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

وذلك في مقابل جمل الفلسفة التي كانت سائدة قبل نظرية الأفعال، والتي أشرنا إليها سابقا بانتمائها إلى النوع الأول وهي التي تسمى "العبارات الخبرية أو الوصفية"<sup>(1)</sup> مثل "الدو جميل: صادقة في حال واحدة هي جمال الجو واقعا، وكاذبة في غير ذلك"<sup>(2)</sup>. فهي **جمل- كما سبق- تخضع إلى مقياس الصدق أو الكذب.**

في مقابل الأدائية التي "لا يمكن وصفها بالصدق والكذب، وهي لا تعكس واقعا موصوفا، بقدر ماهي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حدّ سواء"<sup>(3)</sup>.

وبهذا، يتمّ الإنجاز أثناء الاستعمال، وهو ما يربط اللغة بخاصيتها التواصلية التداولية، القائمة في هذا التصوّر على الفعل الكلامي، وفي سياق ذلك يقسم هذا المعطى التداولي إلى أنواع.

1- فعل القول: هو "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"<sup>(4)</sup>. أو هو "ما يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه"<sup>(5)</sup>.

2- الفعل المتضمّن في القول (أو الإنجازي): وهو "الفعل الإنجازي الحقيقي"<sup>(6)</sup> الذي يتمّ إنجازه بواسطة اللغة.

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص.ن.

(3) المرجع نفسه، ص74.

(4) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص55.

(5) محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص45.

(4) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص56.

(5) بوقفطان مصطفى، بوخالفة إبراهيم، تداولية الوصف والسردي في الخطاب الروائي-رواية "العشق

المقدنس" لعز الدين جلاوي أنموذجا، مجلة اللغة العربية، مج24، ع4، 2022، ص5.

(6) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص56.

3- الفعل الناتج عن القول: وهو فعل ثالث ناتج عن " التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط..."(1).

وبهذا يكون أوستين قد اهتدى إلى هذا التقسيم داخل نظريته، وهو تقسيم ثلاثي يضم ثلاثة معطيات متتابعة ومتجانسة؛ بحيث يتم التلقظ في إطار نحوي سليم، وفي إطاره يتم إنجاز فعل بواسطة اللغة، ثم يحدث تأثير في المتلقي.

ونضيف أيضا إلى فحوى هذه النظرية تعريفا بماهيتها، ما يرتبط بأنواع العبارات الإنجازية، وكذلك شروط نجاح الفعل الكلامي وأقسامه.

فالعبارات ذات الوصف الإنجازي المميز لها تنقسم إلى نوعين اثنين هما "إنجازية (صريحة/مباشرة)"، فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم"(2). و"إنجازية (ضمنية/غير مباشرة) فعلها غير ظاهر، نحو الاجتهاد مفيد=(أقول) الاجتهاد مفيد= أمرك أن تجتهد. ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:20]؛ (أقول): احذروا..."(3).

#### ▪ شروط نجاح الفعل الكلامي عند أوستين:

لقد " أطلق أوستين على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية الصريحة شروط الملاءمة (... ) وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية كل نمط منها يحتوي على شرطين، فهي إذن ستة شروط(4) :

(1) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص56.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص78.

(3) المرجع نفسه، ص.ن.

(4) محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص64-65.

أ-1 وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدّد كالزواج مثلا وأن يشتمل هذا الإجراء على كلمات محدّدة ينطق بها أشخاص محدّدون في ظروف محدّدة.

2- ينبغي أن يكون أولئك الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدّد وأن تكون الظروف مناسبة أيضا.

ب-1 ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحا، بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة أو الملبسة.

2- ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملا فإذا قال رجل لآخر: أبيعك منزلي بمليون ولم يقل الرجل قبلت كان الأداء ناقصا.

ج-1 ولما كان هذا الإجراء يؤديه أشخاص ذوو أفكار معيّنة ومشاعر فإن على المشارك فيه أن يكون لديه تلك الأفكار والمشاعر التي يتطلبها الإجراء، فإذا قلت لشخص: أهنتك بهذه المناسبة السعيدة، وأنت في قرارة نفسك لا تشعر بذلك بل بنقيضه، أو إذا قلت لشخص أعدك أن أساعدك وأنت تتوي ألا تساعدك (...)، فقد أسأت أداء الفعل.

2- على المشارك في الإجراء أن يوجه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر، فإذا قلت لشخص: أرحب ثم سلكت بعد ذلك معه سلوك غير المرحب فقد أسأت أداء الفعل.

### ■ أنواع الأفعال الكلامية:

يعدّ هذا التقسيم من أسس النظرية أيضا، إذ بالاستناد إلى مفهوم القوة الإنجازية، قسّم أوستين الفعل الكلامي إلى أقسام نعرضها في مايلي<sup>(1)</sup>:

#### 1- أفعال الأحكام *verdictives*:

وهي التي تعبّر -كما يدلّ المصطلح- عن حكم يصدره محلّف، أو محكّم، أو حكم، وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية أو ظنيّة مثل: يبرئ، يقدر، يعين، يقوم، يشخص (مرضا)، يحلّل.

(1) محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 69-70.

2- **أفعال القرارات *exercitives***، التي تعبّر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضدّه مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يختار...

### 3- **أفعال التعهّد *commisives***:

وهي التي تعبّر عن تعهّد المتكلّم بفعل شيء أو إلزام نفسه به مثل: أعد، أتعهّد، أتعاقد على، أضمن، أقسم على، أقبل.

### 4- **أفعال السلوك *behabitives***:

وهي التي تعبّر عن رد فعل لسلوك الآخرين، ومواقفهم، ومصائبهم كالاعتذار، والشكر، والتعاطف، والفقد، والمواساة، والتحية، والرجاء، والتحدّي.

### 5- **أفعال الإيضاح *expositives***:

وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجّة مثل: الإثبات، والإنكار، والمطابقة، والملاحظة والتتويه، والإجابة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، والموافقة، والتصويب.

### ■ **مرحلة التطوير:**

اقترنت باسم سيرل تلميذ أوستين؛ لنقف عند بعض ملامح هذا التطوير؛ منها أنّه "أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميّز بين أربعة أقسام:

- فعل التلقظ (الصوتي والتركيب).

- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).

- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).

- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين)<sup>(1)</sup>

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 80.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

فكما نلاحظ قد أضاف جون سيرل ما يسمّى باسم "الفعل القضوي"، الذي يجعل تقسيمه يختلف عن تقسيم أستاذه جون أوستين، إذ يشمل "المتحدث عنه"، أو المرجع والمتحدث به أو الخبر<sup>(1)</sup>، ذلك إذن معناه.

والى جانب ذلك نلتمس أمورا أخرى في تطويره للنظرية منها أنه "استطاع (...)" أن يطوّر تصوّر أوستين لشروط الملاءمة أو الاستخدام (...)" التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفّقا، فجعلها أربعة شروط، وطبقها تطبيقا موجزا ومحكما على أنماط من الأفعال الإنجازية، فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحذير والتحية، والتهنئة<sup>(2)</sup>.

ليكتفي الدارسون بعرض ما كان متصلا منها بأفعال الرجاء، ونكتفي بدورنا بالإشارة إليها حتى لا يطول بنا مقام البحث؛ ذلك أنّ هذه النظرية ليست موضوعه الكلي؛ وإنما هي جزء منه، فتنمّثل عموما في شرط المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص والشرط الأساسي<sup>(3)</sup>.

وليس هذا فحسب؛ أي لم يتوقّف صنيعه عند هذا الحدّ من التطوير، بل تحدّث أيضا عن أقسام الفعل الكلامي، ونجد له أيضا تقسيمه الخاص؛ على غرار ما قام به أوستين مؤسس النظرية وزعيمها.

فتقسيم سيرل ينحو نحو جعلها في خمسة أقسام أيضا، والتي تتمّثل في الأخبار، والأوامر، والالتزامية، والتصريحات، والإنجازات أو الإدلاءات<sup>(4)</sup>، وجدير بالإشارة أنه ثمة من اللسانيين من تناول هذه النظرية بعد العالمين<sup>(5)</sup>.

(1) عمر حسين عبد المحسن، الإنجازية في سورة النساء دراسة في هدي نظرية أفعال الكلام، -MidadAL AdabRefereedQuarterly journal، العدد23، 2021، ص06.

(2) محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص74.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص74-75.

(4) ينظر التفصيل: حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل" ودورها في البحث التداولي، حوليات الآداب واللغات، مج1، ع1، 2013، ص12-13.

(5) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص81-82.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

صفوة القول عن هذه النظرية التي لا يسعها هذا البحث؛ ذلك أنّها أبرز نظرية التي عليها مدار الدرس التداولي، في طرحها الذي يتأسس على الجانب التلّفطي الإنجازي، والتي عرفت انتشارا واسعا في كتابات الدارسين ممّن حاولوا التنظير لها، وكذا من حاولوا تطبيقها في شتى الخطابات المعرفية.

ليأتي الدور على هذا البحث الذي يسعى إلى تمثّلها في الخطاب التفسيري الناطق أصلا عن خطاب القرآن الأصل، من منظور الصابوني وتخريجاته التي تضمّ الفعل الكلامي وعناصر السياق، في ضوء النماذج القرآنية الآتية:

### 1/ في سياق الإيمان والكفر:

يقول الحقّ تبارك وتعالى ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْغِزْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾<sup>(1)</sup>.

نحو من خلال هذا النموذج القرآني الأوّل نحو التطبيق على تقسيم أوستين للأفعال الكلامية، وتنتمة ذلك في الآيات تباعا، إذ في هذا الخطاب القرآني فعل كلامي حكمي، يبسط الصابوني له بتحديد عناصر السياق .

فالطرف الأوّل "رؤساء وصناديد الكفر"<sup>(2)</sup>، والثاني طائفة المؤمنين، ويؤطر الصلة بينهما الخالق عزّ وجلّ، لتقوم الآية الكريمة على فعل كلامي، تحقّقت في ضوئه القوة الإنجازية التي تتمثّل في الحكم الإلهي.

وهو حكم يشمل النوعين؛ الكافر والمؤمن، فحكم الله الذي ابتغاه للكافرين العذاب والخزي لما هم عليه، وحكم النصرة للمؤمنين، يقول مفسّرنا:

<sup>(1)</sup>سورة التوبة، الآية 14.

<sup>(2)</sup>محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص524.

ثم بعد الحض والحث أمرهم بقتالهم صراحة فقال {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} أي قاتلوهم يا معشر المؤمنين فقتالكم لهم عذاب بأيدي أولياء الله وجهاد لمن قاتلهم {وَيُخْزِهِمْ} أي يذلهم بالأسر والقهر {وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ} أي يمنحكم الظفر والغلبة عليهم<sup>(1)</sup>.

فالحضور التداولي بارز من خلال نظرية الفعل الكلامي؛ عن طريق الأحكام السابقة(العذاب والخزي والنصرة)، فكما أسلفنا الذكر؛ فإن أفعال الأحكام، تعبير-كما يدل المصطلح- عن حكم يصدره محلف، أو محكم، أو حكم، الذي هو هنا يمثل أعلى سلطة، ولا حكم من بعده.

## 2/ في سياق عداء إبليس لآدم وزوجه:

يقول الحق تبارك و تعالى ﴿فَلَمَّا يَتَذَكَّرْ مِنْ آيَاتِنَا يَأْتِئُكَ مِنْ هُنَّ قَوْمٌ فَجَعَلْنَاهُمْ قُرْبَانًا لِلْجِنَّةِ﴾ (2).  
فَتَشْتَقِي ۝ (117) ۝

وفي هذا النموذج نستشف فعلا كلاميا من نوع آخر، والذي تتجسد قوته الإنجازية في النوع الثاني ألا وهو القرارات؛ فالآية الكريمة تحمل في معناها قرارا، باعتبار ما سيكون؛ والذي كان تجسيدا فعليا؛ بأن أخرج آدم وزوجه من الجنة النعيم نحو أرض الشقاء.

فمعطيات السياق تتمثل في طرفيه الأساس هما النبي وزوجه، وكذا موسوسهما الشيطان، يقول الصابوني شارحا الفعل الكلامي في سياقه التداولي " لا تطيعاه فيكون سبباً لإخراجكما من الجنة فتشقيان (...)"، وإنما اقتصر على شقائه مراعاةً للفواصل ولاستلزام شقائه لشقائه قال ابن كثير: المعنى إياك أن تسعى في إخراجك من الجنة فتتعب وتشقى في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد، بلا كلفة ولا مشقة"<sup>(3)</sup>.

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص524.

(2) سورة طه، الآية 117.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص249.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ففي هذا السياق يتحقق الفعل التداولي بفعل الله عز وجل في الأصل وليس الشيطان؛ باعتباره المسبب فقط أما القرار للخالق تعالى ضمناً ضد الكلام ، والذي لم يصرح به لمعرفة به ففعل الكلام هنا قرار بالإخراج من نعيم نحو المشقة.

### 3/ في سياق التصديق:

يقول الحق تبارك و تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (268) (1)، ففي هذا الخطاب القرآني المرهون بسياقه ، تتحقق القوة الإنجازية المباشرة التي تتمثل في الوعد من فاعله عز وجل.

ويؤكد ذلك الصابوني شارحاً الفعل وسياقه التداولي بقوله: "أي وهو سبحانه يعدكم على إنفاقكم في سبيله مغفرةً للذنوب وخلفاً لما أنفقتموه زائداً عن الأصل" (2). وذلك بخلاف الشيطان الذي " يخوفكم الفقر ، ويغريكم بالبخل ، ويأمركم بالمعاصي ومخالفة الله تعالى " (3).

فالفعل التداولي مباشر و صريح بلفظه الدال على الوعد، كما تصوّره الآية ، وبعضها تفسير الرجل في شرحه ليتحقق بذلك النوع الثالث في تقسيم أوستين ، ألا وهو أفعال التعهد ، والمتعهد الله عز وجل الذي يعد بالفضل زائداً عن الأصل ، ويغفر الذنوب إذا تمّ الإحسان من الحلال الطيب بدلا من الرديء الذي يكرسه الشيطان تخويفا بالفقر .

### 4/ في سياق اللطف والتعاطف:

يقول الحق تعالى ﴿ وَإِذَا تَعْرَضْنَا عَنْهُمْ إِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾ (28) (4).

(1) سورة البقرة، الآية 268.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص171.

(3) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.)، ص45.

(4) سورة الإسراء، الآية 28.

يراهن هذا النموذج على نمط آخر من أنماط الفعل الكلامي في صورته التي تتحقق سلوكيا ضمن نوع السلوكيات، وذلك في ضوء الفعل الكلامي الذي يتمثل في الرجاء ، ضمن سياق الآية المخصوص .

والذي يحيل على اللطف والتعاطف، ومعنى قول الحق تبارك وتعالى: "وإن أعرضت عن إعطاء هؤلاء الذين أمرت بإعطائهم؛ لعدم وجود ما تعطيمهم منه طلبا لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولا لينا لطيفا لرزق تنتظره من عند ربك، فقل لهم قولا لطيفا لينا، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعدهم بأن الله إذا أيسر من فضله رزقا أنك تعطيمهم منه"<sup>(1)</sup>.

فقد دلّ أحد الملفوظات على فعل سلوكي وهو رجاء، يقترن بأسلوب التلطف مع فئة المحتاجين ، وفي ذلك يقول الصابوني شارحا سياق الآية التداولي : " أي إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيمهم فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا "<sup>(2)</sup>.

فالفعل التداولي هنا وإن كان غير مباشر في تفسير الرجل؛ ، بيد أنه يبدو أكثر وضوحا في الآية نفسها ، ليتجسد النوع الرابع ضمن أفعال أوستين الكلامية، ذلك أن الآية تعبر عن ردّ فعل لسلوك الآخرين.

### 5/ في سياق الاستفهام عموما:

لقد قصرنا هذا النموذج على الاستفهام كنوع من أنواع الفعل الكلامي الخامس، فهذا الأسلوب من أبرز أساليب العربية عموما، وله حضوره اللافت في الخطاب القرآني.

ويراد به: " طلب العلم بشيء غير معلوم عند المتكلم وهو في العربية باب متسع ، متعدد الأدوات، متنوع الأنماط، مختلف الأغراض والدلالات"<sup>(3)</sup>. ومن النماذج في تفسير الصابوني:

(1) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص285.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة النقاير، ج2، ص158.

(3) محمد طاهر الحمصي، الاستفهام بين النحاة والبلاغيين، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، ع35، 2016، ص669.

## 1/ استفهام مجهول في الأصل معلوم:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ ﴾ (60) (1).

فقد تضمن هذا الخطاب قوة إنجازية أعطت للآية النموذج صبغتها التداولية التي تتمثل في الاستفهام ، أي استفهام الكافرين في سياق الوضع الذي هم عليه في إنكارهم للخالق عز وجل رغم معرفتهم به.

لينساق تفسير الصابوني نحو وضع الآية ضمن سياقها التداولي ،متضمنًا تفسيره لها شرح الفعل الكلامي ، إذ يقول: " أي من هو الرحمن؟ استفهموا عنه استفهام من يجهله وهم عالمون به" (2) .

وعليه قد تحقق الفعل الكلامي في نوعه الخامس الذي أقره أوستين ألا و هو الإيضاح ، إذ أظهر رد فعل الكافرين ورأيهم بواسطة الاستفهام الذي تعكسه الآية ويشرحه تفسير الصابوني في صفوته.

## 2/ استفهام التوبيخ:

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (22) (3).

وهنا يتأسس الفعل الكلامي نفسه في هذه الآية ؛ضمن خطابها الموجه إلى المشركين وصنيعهم في الإشراك بالله عز وجل ،فنستأنس بالاستفهام أيضا ،إذ يقول سيد قطب واصفا

(1)سورة الفرقان، الآية 60.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2،ص368.

(3)سورة الأنعام، الآية 22.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

الوضع:" والمشهد شاخص، والحشر واقع ،والمشركون مسؤولون ذلك السؤال العظيم ...الأليم" أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟"(1).

فالإيضاح هنا مصدره الله جلّ في علاه ، ولهذا الفعل التداولي دلالته التي يخرج إليها ألا وهي التوبيخ، ويؤكد ذلك الصابوني في تفسيره قائلاً:" أي انكر يوم نحشرهم جميعاً للحساب ونقول لهم على رعوس الأَشْهاد {أَيَّنْ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} أي أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله؟ قال البيضاوي: والمراد من الاستفهام التوبيخ"(2).

لتبدو مظاهر التداولية جلية ضمن هذا الشرح في سياقه المخصوص ،وهو ما يؤكد احتفاء التفسير الصابوني بالتداولية على وجه العموم، واحتوائه الكمي على ملمح من ملامح أبرز نظرياتها.

### 3/ استفهام التعظيم والتهويل:

ونضيف من النماذج أيضا قوله ﷺ ﴿ وَمَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۗ ﴾ (3)، فعلى شاكلة النموذجين السابقين، فإنّ الاستفهام يتقرر فعلا كلاميا إيضاحيا ، يخاطب به تعالى الإنسان حول يوم الهول ،وهو يوم فاصل.

وعليه فالناظر في تفسير الصابوني ،يضمن السياق التداولي وأطرافه مع الإشارة إلى الفعل الكلامي الاستفهامي، يقول:" استفهام للتعظيم والتهويل أي وما أعلمك أيها الإنسان بيوم الفصل وشدته وهوله؟ فإن ذلك اليوم أعظم من أن يعرف أمره أو يحيط به عقل أو وجدان"(4).

(1) سيّد قطب ،في ظلال القرآن ،دار الشروق، (دم.)، ط32، 2003، ج2، ص1064.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص384.

(3) سورة المرسلات، الآية 14.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص501.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ففي هذا الشرح تحديداً لطرفي التواصل التداولي؛ وهما الله تعالى، الذي يمثل أعلى سلطة وكذا الإنسان الطرف الثاني الأضعف في إمامه بحقائق الأمور، فضلاً عن تداولية الفعل الكلامي الذي يعضده الصابوني تفسيراً؛ بتحديد نوع الاستفهام و شرح معناه.

تلك إذن بعض نماذج التفسير الصابوني المرهون باستحضار النماذج القرآنية، ثم استخلاص المراد التداولي منها في الجانبين الأصل وهو الخطاب القرآني والفرع ألا وهو التفسير، فكلها تنبئ عن أفعال كلامية حاضرة في كلامه عزّ وجلّ، إذ الملفوظات فيها تحقّق أفعالاً بعينها في جميع الأمثلة.

ويمكن أن نستثمر أيضاً في تقسيم سيرل من خلال نموذج الأوامر التي " تحمل المخاطب على فعل معين"<sup>(1)</sup>، وفي ذلك نستحضر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

ففي الآية الكريمة يحضر النوع الثاني من تقسيم سيرل؛ في خطابه جلّ جلاله للملائكة، ويفسّر ذلك الصابوني بقوله: " {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ} أي اذكر يا محمد لقومك حين قلنا للملائكة {اسجدوا لآدم} أي سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} أي سجدوا جميعاً له غير إبليس {أبى واستكبر} أي امتنع مما أمر به وتكبر عنه"<sup>(3)</sup>.

فالشاهد التداولي يبدو جلياً في التفسير؛ من خلال الفعل "أمر" الذي يبيّن نمط الفعل الكلامي، الذي يضمّ إليه الفعل الأصل في الخطاب القرآني، ألا وهو السجود، فالآية تضمّ ملفوظاً كلامياً يحقّق الأمر من أعلى سلطة إلى المأمور، فتحقّق من خلالها الكلام مع الفعل في آن واحد، وهو مراد نظرية الأفعال الكلامية في جملتها.

(1) حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستين" و"سيرل" ودورها في البحث التداولي، ص12.

(2) سورة البقرة، الآية 34.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص122.

ومن الأمريات التي يكرّسها التفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾<sup>(1)</sup>، و هنا أيضا ينحو الصابوني نحو ضبط الفعل الكلامي الأمرى بقوله: "وبمناسبة الإحسان إلى الوالدين يأمر تعالى بالإحسان إلى الأقارب والضعفاء والمساكين {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} أي أعط كل من له قرابة بك حقه من البر والإحسان"<sup>(2)</sup>.

فالمفوظ التداولي جلي في الفعل "يأمر" الذي يخضع لسياقه الموضوعي ، فهو المقصود بقوته الإنجازية التي يحققها فعل الأمر "أت" الموجّه كلفظ وأمر ،ينبغي أن يتحقّق وجوبا امتثالا لكلامه عزّ وجل في الإحسان إلى ذوي القربى وبرّهم وصلتهم.

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة القرآنية المستجلى منها ملامح التداولية ذات الصلة بنظرية الفعل الكلامي، والمشفوعة بتفسير الصابوني الذي يعضد بشرحه التفسيري كل نوع ويؤيده في تأكيد طبيعته.

## 2-2 نظرية التلفظ وتجلياتها في تفسير الصابوني:

تعدّ من أبرز مباحث التداولية؛ في إطار ما يعرف بلسانيات التلفظ، والتي "تجاوزت ما اعترى لسانيات العبارة من قصور ومآخذ، وانشغلت بربط الخطاب اللغوي بسياقه ومخاطبيه ومكانه وزمانه، انطلاقا من مشيرات ومعينات تطبع اللغة"<sup>(3)</sup>.

فنظرية التلفظ هي من جنس التداولية، في رسم حدود الدراسة ذات الطابع اللغوي التواصلى؛ باعتبار ماهيتها التي تقوم أساسا على دراسة الخطاب؛ في ضوء عناصر سياقية أو ما يسمى بالمعينات الإشارية التي تربط كينونته بسياق إنتاجه.

(1)سورة الإسراء، الآية 26.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص158.

(3) كريم الطيبي، لسانيات التلفظ وتحليل الخطاب الشعري:دراسة في المشيرات المقامية في مرثية مالك بن الربيع، مجلة إشكالات في اللغة والأدب،مج10، ع1، 2021، ص442.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

هذا ويراد بالمعينات الإشارية " الصيغة اللغوية التي يتم بها التأشير باللغة"<sup>(1)</sup>، وهو ما يعني وجود عناصر يرتبط بها التلفظ والتي تحيل على ظروفه بناء على أنواعها كما سنرى في التطبيق.

فمع التصور الجديد الذي تلا لسانيات دي سوسير أو بالأحرى تجاوز عقبتها بدا الاهتمام واضحا باللغة من منظور آخر الذي تصدّت له عديد النظريات اللسانية الحديثة منها التداولية وما يستقرّ ضمنها.

فلم تعدّ اللغة بثابتة ومستقرة في أذهان الجماعة اللغوية ولكن اللغة نشاط كلامي أو فعالية كلامية، في هذا النشاط تتحدّد نقطتان: التلفظ Enonciation؛ الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والملفوظ Enoncé كنتيجة لذلك الفعل"<sup>(2)</sup>.

وفي السياق ذاته "يتحدّد التلفظ بتحديد العناصر المنتمية إلى اللغة وتتغيّر دلالتها من كلام إلى آخر مثل أنا، أنت، هنا، الآن... وما على الباحث إلاّ تقفّي الآثار التي يتركها المتكلم في خطابه"<sup>(3)</sup>.

حاصل القول؛ أي ما نخرج به من جمع شتات هذا التصور وما يقترن به، هو ارتباطه بمرحلة ما بعد لسانيات سوسير؛ أين أعيد الاعتبار إلى الكلام، وأضحى موضوعا في الدرس اللساني، وهو يرتبط -قياسا- على النظرية التلفظية بعملية التلفظ التي ينتج عنها ملفوظ، الذي يقترن بدوره بعناصر تحقيقه، في علاقتها بالمتكلم والمخاطب، وهو ما تضطلع النظرية بدراسته، في ضوء ما يطلق عليه تسمية المعينات الإشارية.

---

(1) مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018، ص50.

(2) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص86.

(3) المرجع نفسه، ص.ن.

وبعد هذا العرض، نقوم باستجلاء ملامح هذا المبحث التداولي في صفة التفاسير، وهي كثيرة تدعم ما جاء في الآيات الكريمة.

### 1 الإشارات الذاتية :

وهي أكثر الإشارات التداولية شيوعا وانتشارا (...). تشير إلى الشخصيات الرئيسة في الخطاب: (المتكلم والمخاطب والغائب)<sup>(1)</sup>.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(98)</sup> (2). كما

يقول ﷺ: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾<sup>(60)</sup> (3)

ففي الآيتين، يتحقق الفعل التداولي بواسطة الإشارات الذاتية أو الشخصية، وهي تتابن في فروعها التي يجسدها الضمير بنوعيه المتصل والمنفصل، في إشارتهما إلى الذات العليا المقدسة وما توجهه من خطاب.

ولا ينأى التفسير عن ذلك، بل وجه الصابوني أيضا تفسيره للآيتين نوجيها تداوليا بذكر الشاهد وشرح سياقه التداولي، و هنا تظهر قيمة الإشارات في علاقتها بالضمائر عموما وفي هذا الخطاب النموذج.

فالاعتماد على الضمائر دراسةً " كظاهرة لغوية ذات ارتباط مباشر بالعملية التبليغية والخطاب يفرض علينا نظرة خاصة تتضمن على الخصوص دراسة مرجعيتها وكذا الدور الذي تلعبه لضمان تحقيق الإطار التداولي للخطاب"<sup>(4)</sup>.

(1) علي عبد الله حمد، ريبوار خطاب، الإشارات الشخصية في (الكاشف عن حقائق السنن) للطبيبي (ت743هـ)، المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2023، ص649.

(2) سورة الأعراف، الآية 98.

(3) سورة الواقعة، الآية 60.

(4) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، 2013، ص32.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

فهي "تمكّن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه، وينصب نفسه على رأس العملية الخطابية" (1)، وفي هذا السياق تؤشر الآيتان على ذات الله المقدّسة، سواء في الضمير المتّصل "نا" أو المنفصل "نحن".

و لاشكّ أنّه في الخطاب القرآني تكتسب الضمائر عظمتها؛ لإحالتها المرجعية على الخالق جلّ جلاله ؛ وهو في الآية الأولى تصطبغ عظمته بدلالة الشاهد، فتعضد الدلالة التأشير التداولي، بناء على اللفظ الذي يحمل قرينة الضمير.

فالبأس عذاب الله الشديد ، فتفترن مرجعية الضمير الخطابى المعلومة قلبا لا قالبا مع معنى الآي، فيسهم الضمير في الإحالة، وإعطاء الخطاب صبغته التداولية في ظلّ وجود المتلقّي وهم الغافلون من أهل القرى.

وبهذا المنطق الوصول إلى مراد الآية التفسيري يتجسّد في ضوء "البحث عن المرجعية في التلفظ فتحيلنا إلى المتكلم وما يحيط به من أحوال حيث يتجلّى المتكلم حينما يكون فاعلا في الخطاب مع توفّر علاقة بينه وبين المخاطب" (2).

وفي ظلّ هذا التفاعل يكون المعنى كما يفسّره الصابوني "الهمزة للإنكار أي هل أمن هؤلاء المكذبون أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون غافلون عنه؟" (3).

فالفاعل التداولي الأصل ينسحب أيضا على تفسير الرجل، فقد حافظ الصابوني على تداولية الضمير وإحالتها في بيان إنكار الكافرين لعذاب الله الذي يأتيهم وهم في غفلة من أمرهم دون حذف فأخذ تفسيره بعدا تداوليا أيضا إلى جانب تداولية الآية في سياقها المخصوص.

(1) المرجع نفسه، ص 32.

(2) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 87.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 461.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

وعلى شاكلتها الآية الثانية التي تجمع بين تداولية الخطاب وتداولية التفسير أيضا في إحالتها على المرجعية المقدسة وهي ذات الله العظيمة التي يعبر عنها الضمير المنفصل "نحن".

وهنا تحيل تداولية الضمير على عظمة الخالق تعالى بما يتناسب و قدرته على الإماتة كيفما شاء تقديمًا وتأخيرًا ، و المعنى المراد من الآية كما يقول البيضاوي: "نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ قَسْمَاهُ عَلَيْكُمْ وَأَقْتْنَا مَوْتَ كُلِّ بَوْقَتٍ مَعِينٌ"<sup>(1)</sup>.

وبالنظر إلى تفسير الصابوني رغم اختلاف دلالاته عن البيضاوي ،فإنه حافظ أيضا في هذا الموضع القرآني على الصلة اللسانية بالمرجع الخارجي في إطار لسانيات التلفظ ، ودليل ذلك تفسيره للآية الذي يقول فيه " أي نحن قضينا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم فيه قال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض، سواء فيه الشريف والوضيع، والأمير والصلعوك"<sup>(2)</sup>.

هذا من جانب، كما تتجسد تلفظية التفسير أيضا من خلال أفعال المضارعة وصيغ التملك ؛ إذ نستحضر لذلك نموذجين لكل نوع تلفظي دال على المرجعية .

فمثال الأول قوله تعالى: ﴿ اٰجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِۙۤ اِذَا دَعَاۙۤ فَلَیَسْتَجِیْبُوۙۤاۤ لَیۤ وَّلِیُّوْمِنُوۙۤاۤ بِیۡ لَعَلَّهُمْ یُرْشِدُوۙۤنَۙۤ ۝۱۸۶﴾<sup>(3)</sup>.

ومثال الثاني قوله ﷺ: ﴿ اَوْ اَنْ تَفْعَلَ فِیۡۤ اٰمُوْلَانَا مَا دَشْتُوۙۤاۙۤ اِنَّكَ لَآنتَ اَلْحَلِیْمُ الرَّشِیْدُۙۤ ۝۸۷﴾<sup>(4)</sup>.

(1)ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،ط1، (د.ت)، ج5،ص181.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3،ص312.

(3)سورة البقرة، الآية 186.

(4)سورة هود، الآية 87.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ففي النموذج القرآني الأول يساهم الفعل المضارع كـمعيّن (déictique) في إنجاح العملية التواصلية بطابعها السياقي الذي يحدّد الطرف الأساس الموجّه للخطاب، فتكتسب الآية دلالتها من مرجعيتها التداولية التي تقترن بنوع من إشارات التلّفظ.

والمضارع نفسه يشغل في دائرة الأنا، باعتبار الضمير المستتر الدال على الذاتية؛ وهي ذاتية المقدّس جلّ في علاه وعظّمته، في خطابه لمن يدعوه.

فمعنى الآية مرهون بعناصرها الإشارية التي تحدّد قيمتها لسانيا بمنطق التداولية؛ ذلك أنّ الوظيفة المرجعية للغة "هي التي تحدّد أبعاد الخطاب الحقيقية، وتكتسب مشروعيتها حينما تتطابق العلامات اللغوية مع الواقع الخارجي"<sup>(1)</sup>.

وهو واقع هنا له خصوصيته، سواء من ناحية المخاطب وهو الله عزّ وجلّ، أو من ناحية المخاطب، لمنزلته عند خالقه الذي يكرمه بالإجابة؛ وباعتماد هذا النوع الإشاري الذاتي يتبيّن معنى الآية لدى الصابوني الذي من عادته الحفاظ على النسق التداولي في تفسيره.

يقول: "أي أجيب دعوة من دعاني إذا كان عن إيمان وخشوع قلب"<sup>(2)</sup>، ومن ثم لم يخرج عن طابع الآية التداولي في تشبّته بالفعل؛ لقيّمته في إعطاء الآية الكريمة دلالتها الجوهرية المقصودة من كلامه عزّ وجلّ.

وعن المثال الثاني، فهو يعكس ذاتية اللغة من خلال صيغة التملّك؛ ولكن بارتكازه على المخاطب، إذ تحيل الملكية على تداولية الخطاب الدالة على طرف من أطراف السياق وهو المتكلّم؛ ما يسمح بفهمه برّد العنصر الإشاري إلى مرجعيته.

ويتبيّن ذلك من تفسير الصابوني بقوله: "قال الإمام الفخر: إن شعيباً أمرهم بشيئين: بالتوحيد، وترك البخس، فأنكروا عليه أمره بهذين النوعين فقوله ﴿مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا﴾ إشارة إلى التوحيد، وقوله ﴿تَفْعَلْ فِي أَمْوَالِنَا﴾ إشارة إلى ترك البخس"<sup>(3)</sup>.

(1) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، ص 103.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 122.

(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 29.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

فالمراد هو الشاهد الثاني في قول المفسر الدال على ملكية الأموال، ومعنى الآية " يا شعيب هذه الصلاة التي تداوم عليها تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو نمتنع عن التصرف في كسب أموالنا بما نستطيع من احتيال ومكر؟"(1).

فالصابوني وضع الآية في سياقها التداولي شرحاً لأطراف التواصل مع الحفاظ على الشاهد التداولي القصد الذي نبني عليه دراستنا في هذه الجزئية من البحث، علماً أنه ثمة أنماط مرجعية أخرى تجسدها معيّنات من نوع آخر.

فإلى جانب المؤشرات الدالة على المتكلم، فإنّ لمؤشرات المخاطب الدور التداولي أيضاً في تفسير الصابوني، وقبله الآية التي تحتويها، و نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (170) (2).

فالتداولية هنا تمارس سلطتها على الخطاب القرآني لهذه الآية، في ضوء المعين الإشاري الذي يضمّه لفظ آباؤهم بتقدير الضمير "هم"، إذ يسهم في تأطير الفهم الدلالي لكلام الله عزّجل من خلال ما يحيل عليه من مرجعية.

تلك المرجعية التي جسدها الصابوني في تفسيره شارحاً بقوله: "أي أيتبعون آباءهم ولو كانوا سفهاء أغبياء ليس لهم عقل يردعهم عن الشر ولا بصيرة تنير لهم الطريق؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتعجب من حالهم في تقليدهم الأعمى للآباء"(3).

فالحديث هنا في سياقه اللغوي والتداولي عن اتباع الكفار لآبائهم، فتضافر البعد التداولي للآية مع تفسيرها الذي قدّمه الصابوني، ما يثبت احتفاء صفوة التفاسير بكثير من مظاهر التداولية في مبحثها التلقضي.

(1) نخبة من العلماء،التفسير الميسر،ص231.

(2)سورة البقرة، الآية 170.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1،ص114.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ونضيف أيضا إلى المعينات الذاتية الدالة على المخاطب معين النداء ومرجعياته التي تعطي للغة بعدها الاستعمالي، والذي يعدّ ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتبنيه أو توجيهه أو استدعائه... وظاهر أنّ النداء لا يفهم إلا إذا اتّضح المرجع الذي يشير إليه<sup>(1)</sup>.

ومن أمثله في الخطاب القرآني ، في ظلّ الحضور البارز كمعين أيضا في تفسير الصابوني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَكُمْ ظَلْمٌ أَنْفُسِكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعَجَلِ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

فيتبين مراد الآية التداولي من خلال النداء ، وفي حدود هذه الآلية نستدعي المرجعية التي تفيدنا في فهمها ، بناء على ما جاء في شرح المفسر؛ أي "واذكروا حين قال موسى لقومه بعدما رجع من الموعد الذي وعده ربه فرآهم قد عبدوا العجل يا قوم لقد ظلمتم أنفسكم {باتخاذكم العجل}"<sup>(3)</sup>.

فوظيفة النداء قد تحققت لغويا في سياق الآية اللغوي، ومرجعيا في إطار التلّفظ، فضلا عن احتواء التفسير على المعين والشرح التفسيري لمرجعياته التي تدعم الآية في معناها الظاهري الذي لا يحتاج تأويلا.

تلك إذن نظرية التلّفظ في شقّها الأول الذاتي، الذي تعكسه المعينات الذاتية التواصلية بنوعيتها المتكّم والمرسل إليه، ليتسنى لنا دراسة المعينات السياقية ، فهل لها ملامحها في التفسير على شاكلة النوع السابق؟.

ذلك ما نقف عنده استئناسا ببعض النماذج، إذ يراد بالمعينات السياقية، تلك القرائن التي تحيل على المكان والزمان، ولنا في ذلك نماذج من الذكر الحكيم، والتي نتخير منها نموذجين على نهج ما سبق.

(1) أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.

(2) سورة البقرة، الآية 54.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص58.

2/الإشارات السياقية:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (1)، وهنا، إذ" ترجع الإشارات المكانية إلى أماكن، ويعتمد استعمالها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو على السامع" (2).

ولا شك أنّ الله تعالى يحيط بكل شيء حوله بأرضه وسمائه والجنة ، متى خاطب بها عباده فهي تحت سلطته ، وهو ما يعزّز وجود هذا المعين كعنصر مكاني إشاري ،يشير إلى مرجعية هذا المكان الشريف الذي لا يناله غير المتقين.

وجاء تفسير الصابوني ليثبت المعين ومرجعيته شرحا بقوله: " أي صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد الله بها عباده المتقين أنها تجري من تحت قصورها وغرفها الأنهار" (3). فالتفسير في هذا الموضع القرآني مراده الوصف بالحفاظ على المرجعية التداولية التي تحيل على المقصود مكانا.

وعليه؛ فإنّ تداولية التفسير تجسّد شأنها شأن الآية مقولة أنّ المكان "يتأسس في تلك النقطة من الفضاء التي يتواجد فيها أثناء الحديث(لحظة التلقظ)" (4)؛فالمكان هنا مقدّس وذات الله أقدس في وعدها وتنفيذها .

ويقول جلّ جلاله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (5)،وهنا يستقرّ الزمان معينا إشاريا في الآية ، ليحقّق التفاعل التداولي أيضا ؛عن طريق مرجعية مألوفة لدى المتلقّي في تلقّيه لهذا الخطاب القرآني.فالله عزّ وجلّ هو الذي يمتلك سلطة الكون ،ويدبّر أموره؛ ومن جهة أخرى، يعضدها تفسير المفسّر الصابوني في توظيفه الحتمي للمؤشرين ؛وهو ما يستقيم به الشرح الذي لا ينأى عن تداولية الخطاب.

(1)سورة الرعد، الآية 35.

(2) عبد العزيز صابر عبد العزيز، العناصر الإشارية في قصيدة "ارجل وعارك في يدك" لفاروق جويده دراسة تحليلية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المنيا، مج1، ع38، 2018،ص243.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2،ص86.

(4) حمو الحاج ذهبية،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،ص124.

(5)سورة فاطر، الآية 13.

ففي سياق هذا التخريج نعرض ما جاء في الصفوة، وهو قوله: "أي يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، فيضيف من هذا إلى هذا وبالعكس، فيتفاوت بذلك طول الليل والنهار بالزيادة والنقصان، حسب الفصول والأمصار" (1).

فالإشارات الزمانية "هي الملفوظات التي تدل على زمان يحدده السياق، وذلك بالقياس إلى زمان التلفظ الذي هو مركز الإشارة الزمانية في القول" (2). ولاشك أنّ الخالق عزوجل في لحظة كلامه اقتران بزمان لا يعلم كيفيته إلا هو في عالم الغيب.

تلك إذن بعض ملامح التداولية في تفسير الصابوني؛ في ضوء المبحث التلفظي والتي يستغرق إجلائها كما من النماذج القرآنية على قدر سعة القرآن الكريم، والذي لا يسعه هذا البحث، إلا ما تيسر إظهارا للمنهج التفسيري لدى الصابوني.

لنتحول إلى مبحث آخر وهو الحجاج، لنستظهر ملامحه كما دأبنا أنفا في الآي نفسها، ثم التفسير باعتبار التيمة الأساس لهذا العمل.

### 2-3 الحجاج وتمظهراته في تفسير الصابوني:

ونضيف إلى المبحثين السابقين مبحثا آخر في التداولية ألا وهو الحجاج، لنستقر أيضا على ملامحه في تفسير الصابوني، وقبل ذلك لنقف وقفة مختصرة عند مفهومه على شاكلة الفعل الكلامي ونظرية التلفظ.

#### 1/ في مفهوم الحجاج:

الحجاج من الحجة؛ التي هي "ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد" (3). وهو منظور تداولي مهم.

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص569.

(2) ضيف عبد المنعم الفرجاني، تداولية الإشارة عند نزار قباني (قصيدة منشورات فدائية على جذران إسرائيل أنموذجا)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مج38، ع1، 2018، ص140.

(3) الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص73.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ويقال في اختصار تعريفه أنه "طريقة عرض الحجج وتقديمها"<sup>(1)</sup>؛ فالكلام في كثير من أحواله يتوقف على ما يبيده المتكلم من الأدلة والحجج، في ظل وجوده في مقام معين ضمن سياق كلامي محدد.

ومن ثمّ "الخطاب الحجاجي هو بناء لغوي يتمّ تدعيمه بأدوات توظف لغرض الإقناع والتأثير"<sup>(2)</sup>. فبتلك الأدوات يستوي الحجاج في خطاب ما، ليقنع ويستميل، ويؤثر في المُخاطب المتلقّي.

والناظر في تفسير الصابوني له أن يستجلي مظاهر هذا المبحث التداولي؛ عبر عديد الآليات الحجاجية التي نعتمدها في مايلي:

### أ/حجاجية الحذف:

فالحذف "أبرز مجال من مجالات المظاهر الأسلوبية في القرآن الكريم"<sup>(3)</sup>، و"البحث في مقصدية الحذف وأغراضه وفق المنحى التداولي، لا يقف عند حدود الجملة أو النص؛ بل يتعداه إلى الجانب الاستعمالي للغة ومن جميع عوامل المقام (المتكلم، والمخاطب، والمكان، والزمان، والسياق...) ابتغاء تحديد مكونات الخطاب وغاياته وطاقاته التأثيرية"<sup>(4)</sup>.  
ومن أمثله:

يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص85.

(2) بوعرعارة محمد، التداولية والحجاج جدلية التصوّر وبناء المفهوم، فصل الخطاب، العدد4،

2013، ص18.

(3) بوخشة خديجة، تداولية الحذف عند علماء القرآن، مجلة لغة كلام، مج6، ع2، 2020، ص136.

(4) المرجع نفسه، ص137.

(5) سور الأنعام، الآية: 27.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ففي الآية الكريمة حذف له أبعاده التداولية في إثبات مقصدية التخييم، ويقترن هذا الخطاب التواصلية بحدود الزمان والمكان، فمصدقا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّ السُّورَةَ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ دَفْعَةً ، إذ يقول: " نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد"<sup>(1)</sup>. ويقول ابن عاشور: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ لَيْلًا"<sup>(2)</sup>.

فبارتسام هذين الحدين؛ فَإِنَّ لهما سياق موضوعي يوطرهما في علاقتهما بالآية النموذج؛ إذ بناءً على الحثيات، فَإِنَّ المخاطب الله جَلَّ فِي عِلاهِ، والمخاطب سيد الخلق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والتفسير كما يقول الصابوني: " قال الإمام الفخر: قوله تعالى لَوْلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ يِقْتَضِي لَهُ جَوَاباً وَقَدْ حُذِفَ تَفْخِيماً لِلأَمْرِ وَتَعْظِيماً لِلشَّانِ، وَأَشْبَاهَهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَالشَّعْرِ، وَحَذَفَ الْجَوَابَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَبْلَغَ فِي الْمَعْنَى مِنْ إِظْهَارِهِ أَلَّا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِعِلاَمِكَ :وَاللَّهِ لئن قمتُ إِلَيْكَ - وسكتَ عن الجواب - ذهب فكره إلى أنواع المكروه من الضرب، والقتل، والكسر، وعظم خوفه لأنه لم يدر أي الأقسام تبغي، ولو قلت :والله لئن قمتُ إِلَيْكَ لأضربنك فأنتيتَ بالجواب لعلم أنك لم تبلغ شيئاً غير الضرب، فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيراً في حصول الخوف"<sup>(3)</sup>.

ففي التفسير ما يظهر البعد التداولي للآية من خلال الحذف كوسيلة في الإقناع، فالحذف كما يشير الصابوني نقلا عن الرازي أقوى من الجواب ذاته، فيمكن القول أن الرجل كان متقنًا للبعد التداولي الحجاجي للآية.

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتوير، ج7، ص121.

(2) المصدر نفسه، ص.ن.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص388.

ومن أدلة الحذف الحجاجي تداوليا تفسيره لقوله تعالى في السياق ذاته يوم العرض: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (1). فالسياق نفسه من حيث أطراف التواصل ، إذ يخاطب الله تعالى نبيه في هذا الموضع أيضا، كما يحدّ نطاقها المكاني بمكة، أمّا زمانها فقد " نزلت سورة سبأ بعد سورة لقمان (...) في الفترة الواقعة بين السنة الحادية عشرة والثاني عشرة من حياة الرسول (ص) في مكة بعد البعثة "(2).

ومعنى خطاب الآية الشريف كما أراده تعالى: " ولو ترى-يامحمد-إذ الظالمون محبسون عند ربهم للحساب ،يتراجعون الكلام فيما بينهم ، كل يلقي بالعتاب على الآخر ،لرأيت شيئا فظيعا"(3).

ويؤيد الصابوني ذلك: " أي ولو شاهدت يا محمد حال الظالمين المنكرين للبعث والنشور في موقف الحساب {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلُ} أي يلوم بعضهم بعضاً ويؤنب بعضهم بعضاً، وجواب {لَوْ} محذوف للتهويل وتقديره لرأيت أمراً فظيماً مهولاً"(4).

فالمراد من هذا التفسير الجزئي على شاكلة ما سبق من استخلاص لوجه الإقناع ،وهو الحذف لقوته مقارنة بالذكر ، وهو ما يشغل ذهن القارئ بملأ فراغ المحذوف،من ثم أظهر الصابوني تداولية الآية في تفسيره تحقيقاً لمقصدية الفطاعة والتهويل.

### ب/حجاجية التكرار:

يعدّ التكرار من الأساليب الحجاجية التي يستخدمها الشاعر أو المتكلم في خطابه؛ من أجل التأكيد على قضية أو قول ما"(5).

(1)سورة سبأ ، الآية 31.

(2)جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج7، ص121.

(3) نخبة من العلماء،التفسير الميسر، ص431.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص554-555.

(5) عبد الرحيم عبد الموجود محمد مهدي، الآليات اللغوية للحجاج في شعر المشركين، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المنيا،مج49، ع7، 2024، ص3523.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ومن أمثلة التكرار في بعده التداولي لدى المفسر في تفسيره، نستحضر قول الحق تعالى:

﴿وَأَذَقْنَا الْمَلَائِكَةَ يُمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ إِصْطَفَيْنِكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَيْنِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (1).

ففي الكلام حجة تداولية عمدتها التكرار، وذلك في سياق موضوعي طرفاه الملائكة والسيدة مريم في خطاب الطرف الأول من باب تأكيد التفضيل الإلهي، فاكتست الآية بعدا حجاجيا تداوليا يؤكد الصابوني.

يقول المفسر: "تكرر لفظ اصطفاك كما تكرر لفظ "مريم" وهذا من باب الإطناب" (2)، إذ يمثل الإطناب هنا الأسلوب البلاغي، الذي تتجلى غايته في إقامة الحجة عن طريق تأكيد الاجتباء والاختيار.

ونضيف أيضا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا ۙ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا ۙ﴾ (3)، وهنا أيضا يكشف التفسير عن تداولية الآية، يقول الصابوني: "كرر العبارة تأكيداً لزمه وتقبيحاً لحاله، ولغاية التهكم به" (4).

فالحجاج، يخدم السياق الموضوعي المتمثل في تقبيح الطاعن في محمد والقرآن، في صورته التكرارية التي تتحقق لغة في الآية وشرحا في التفسير وفيما معا تتحقق تداولية الحجاج، في علاقته بأطراف العملية التواصلية.

### ج/حجاجية البيان والبديع:

وهنا نتحوّل بالحجاج إلى أساليب البيان والبديع، فنستأنس بالبيان أولا في إطار تداوليته، إذ يفسر الصابوني قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (5).

(1) سورة آل عمران، الآية 42.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص203.

(3) سورة المدثر، الآيتان 19-20.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص476.

(5) سورة البقرة، الآية 93.

فسياق الآية يرتبط بأطرافها التواصلية التي تتجسد في خطاب المولى عزّ وجلّ لقوم ، إذ في التعبير اللغوي عن هذا السياق ما يزيد من إقامة الحجة عليهم بأنهم بالغوا في أمر اتّخاذهم العجل .

فجاء تفسير الصابوني مبيناً لتلك التداولية الحجاجية في طابعها البلاغي الاستعاري ، إذ يقول: "استعارة مكنية، شبه حبّ عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية، قال في تلخيص البيان: "وهذه استعارة والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبة فما زجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء المملوذ"<sup>(1)</sup>.

ومن النماذج أيضاً، ولكن في التشبيه تفسيره لقوله تعالى ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمٌّ ﴾<sup>(2)</sup>، وهنا أيضاً يؤدّي الأسلوب البلاغي دوره الحجاجي التداولي؛ بإقامة الله عزّ وجلّ الحجّة على المنافقين وتجسيد حالتهم بطريقة تشبيهية حجاجية تنطق بها الاستعارة البلاغية.

وفي ذلك يقول الصابوني: " أي هم كالصم والبكم العمي في عدم الاستفادة من هذه الحواس حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً"<sup>(3)</sup>. فالحضور التداولي إذن بارز في الخطابين القرآني والتفسيري.

ومعنى الآية شرحاً كما جاء في التفسير الميسر: " هم صمّ عن سماع الحقّ سماع تدبّر، بكم عن النطق به، عمي عن إبصار نور الهداية؛ لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال"<sup>(4)</sup>.

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص81.

(2) سورة البقرة، الآية 18.

(3) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص39.

(4) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص4.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

أمّا من جانب البديع فيبدو الأمر كذلك؛ أي انسجام الخطابين أيضا، ففي قوله الحقّ تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمُ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾<sup>(1)</sup>، ينسجم المحسن البديعي مع حجّته تعالى في بيان شعور الكافرين وما يضمرونه للمؤمنين.

لينحو أيضا الصابوني في بيان هذه الحجة؛ عن طريق استظهار المقابلة، إذ يقول "في الآيات من المحسنات البديعية ما يسمى بالمقابلة وذلك في قوله ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمُ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ حيث قابل الحسنة بالسيدة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة"<sup>(2)</sup>.

فالآية الكريمة تضمّ أطراف السياق التداولي الذي يشمل المتكلم عزّ وجل في خطابه للمؤمنين مقيما الحجة في إقناعهم بواسطة التقابل بين موقفين، وهو ما يحرص الصابوني على تأكيده في تفسيره.

ومن البديعيات أيضا ممارسة الإقناع بواسطة الجناس، إذ يقول تعالى ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَعْدُبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ<sup>(25)</sup> وَلَا يُوَثِّقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ<sup>(26)</sup>﴾<sup>(3)</sup>. ففي الآية الكريمة حجة الله في إثبات قدرته المطلقة في التعذيب التي لا تضاهيها قدرة.

فاستعمل في ذلك الجناس أسلوبا للإقناع، ويعضد ذلك تفسير الصابوني الذي أخذ تفسيره المنحى البلاغي، وهو ما يؤكّد حاجية الآية بشكل مباشر؛ إذ يكفي الإشارة إلى نوع البديع بقوله: "جناس الاشتقاق ﴿لا يعذب عذابه﴾ و﴿لا يوثق وثاقه﴾"<sup>(4)</sup>، ومنه نخلص إلى قيمته أي المؤشر البديعي في الحجاج بناء على معنى الخطاب.

تلك إذن شذرات من الحجاج، ويليه آخر مبحث، نحاول إجلاء ما تيسر من ملامح، إذ يتعلّق بالاستلزام الحواري كمبحث مهمّ أيضا من مباحث اللسانيات التداولية.

(1) سورة آل عمران، الآية 120.

(2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص226.

(3) سورة الفجر، الآيتان 25-26.

(4) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص559.

4-الاستلزام الحوارى وتجلياته في تفسير الصابونى:

يعد الاستلزام الحوارى "من أهم مفاهيم التداولية، بل ألقها بطبيعة البحث التداولى، وقد نشأ هذا المفهوم على يد "بول غرايس" عبر محاضراته التى ألقاها فى جامعة هارفرد سنة 1967م، وقد طبعت هذه المحاضرات فى أجزاء سنة 1975" (1).

فقد "كانت نقطة البدء عند جرايس هى أنّ الناس فى حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كلّ همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال (...) وما يقصد" (2).

لنخلص إلى تعريف يختزل هذا المفهوم بأنّه "ما يرمى إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهرى لكلامه إلى معنى آخر" (3). والفهم والتأويل "يجب أن يكون مرتبطا بالسياق، لأنّ هناك ظروفًا معينة ينتج من خلالها الخطاب، البد من مراعاتها عند القيام بعملية التأويل لمعرفة معنى ذلك الخطاب" (4).

فهذا المفهوم يرتبط بالعمق تجاوزا للبنية السطحية، وهو ما يعكف الباحث التداولى والوصول إليه بحثا عن القصد فى صورة المتكلم الذى يتولّى مهمّة تطبيق الاستلزام الحوارى على شتى أنواع الخطابات.

ومنه نسعى إلى استجلاء بعض ملامح التداولية فى تفسير الصابونى من منطلق الخطاب الأصل وهو آى القرآن الكريم.

(1) دايد عبد القادر، مليانى محمد، الاستلزام الحوارى فى التحرير والتنوير، مجلة الكلم، مج7، ع2، ديسمبر، 2022، ص654.

(2) أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، ص33.

(3) العياشى أدراوى، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص18.

(4) ريمة كعبش، نظرية الاستلزام الحوارى - المفهوم والمبادئ، مجلة الخليل فى علوم اللسان، مج1، ع1، سبتمبر، 2021، ص61.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

وكما هو معلوم، فإنّ أساس الاستلزام الحوارية هو مبدأ التعاون الذي مفاده " أن تتعاون الأطراف المشاركة في الحوار فيما بينها للاهتمام إلى المعنى المراد"<sup>(1)</sup>، فالله يحاور في الآية محمداً عليه الصلاة والسلام.

يقول الحقّ تبارك وتعالى ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

ومعنى الآية "استغفر -يا محمد- للمنافقين أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، مهما كثر استغفارك لهم تكرر؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله". والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته"<sup>(3)</sup>.

وعلى ذكر المبدأ الأساس للاستلزام؛ فإنّ جرایس "وضع أربع قواعد متفرّعة (...) ، أو كما سمّاه مسعود صحراوي المسلمّات الحوارية"<sup>(4)</sup>. ولعلّ ما ينطبق على الآية هو القاعدة الأولى وهي قاعدة "مبدأ القدر أو الكم : Maxim of quantity".

والتي تفيد جعل الإسهام في الحوار بالقدر المطلوب دون الزيادة أو الإنقاص ، فيقول المتكلم الضروري الذي يحقّق الغرض<sup>(5)</sup>. ولما كانت هذه القواعد عرضة للخرق ، فإنّ الكلام في الآية يخرق الكم.

ومعنى ذلك أنّ المحاولة ليست أو لا تكون بهذا القدر من النبي صلّى الله عليه من الاستغفار أهله حتماً، وإنّما العدد هنا بغرض التكثير والمبالغة، ومن ثمّ العدد ليس مقصوداً به الحصر أو تحديد عدد الاستغفار على وجه الدقّة، بل هو للدلالة على الكثرة، والتأكيد على أن الاستغفار بهذا العدد الكبير لن يجدي نفعاً.

(1) رضیة بنت حسن باحمید، الاستلزام الحوارية آیات من القرآن الكريم (أنموذجاً)، حویة کلیة اللغة العربیة بجرجا، مج28، ع1، 2024، ص649.

(2) سورة التوبة، الآية 80.

(3) نخبة من العلماء، التفسیر المیسر، ص200.

(4) رضیة بنت حسن باحمید، الاستلزام الحوارية آیات من القرآن الكريم (أنموذجاً)، ص651.

(5) المرجع نفسه، ص.ن.

ويؤكد المعنى الصابوني بقوله: "قال الزمخشري عند قوله تعالى {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} لفظ السبعين جارٍ مجرى المثل في كلام العرب للتكثير قال علي بن أبي طالب.

لأصبح العاص وابن العاصي ... سبعين ألفاً عاقدني النواصي

فذكرها ليس لتحديد العدد، وإنما هو المبالغة جرياً على أساليب العرب<sup>(1)</sup>.

فالصابوني تفسيره يجري مجرى التأويل الذي استخلصناه من افتراضية الاستلزام الحوارية للآية ، في بعدها التداولي الذي يخضع لسياقه الموضوعي وأطراف التواصل، ونضيف أيضاً من القواعد ما يحدث فيه الخرق أيضاً.

والحديث هنا عن "مبدأ الكيف Maxim of quality"، وهو عدم القول بما يعتقد أنه كذب أو لا يتمكن من البرهنة عليه<sup>(2)</sup>، وطرف السياق هنا؛ أي المتحدث هو أخو يوسف الأكبر ، وفي كلامه كما تنص الآية دعوة لإخوته بالذهاب إلى أبيهم وإخباره بما حدث.

يقول تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾<sup>(3)</sup>؛ وهذا في سياق الواقعة التي حدثت؛ باتهام بنيامين بتهمة السرقة، وما يعنينا اختراق الكيف في الآية؛ حين قال "واسأل يا أبانا-أهل مصر". ومن كان معنا في القافلة التي كنا فيها، وإنا صادقون فيما أخبرناك به<sup>(4)</sup>.

فلم يقل أهل القرية ، بل اسأل القرية؛ ما أدى إلى خرق كيفية السؤال التي في الأصل سؤال البشر لا المكان ، والتفاسير تدعم الفكرة من باب البلاغة(المجاز المرسل)؛ ما يؤكد تداولية الاستلزام في فهم الكلام، فيتجاوز المتلقي الفهم السطحي؛ أي سؤال القرية إلى سؤال الأهل الذي يستلزمه معنى الآية الكريمة.

(1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص552.

(2) ينظر: رضية بنت حسن باحميد، الاستلزام الحوارية آيات من القرآن الكريم (أنموذجاً)، ص651.

(3) سورة يوسف، الآية 82.

(4) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص245.

## الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية

ونموذجنا الصابوني يعرض دلالة الفهم، فيقول "أي وأسأل أهل مصر عن حقيقة ما حدث قال البيضاوي: أي أرسل إلى أهلها وأسألهم عن القص" (1)، فيكون تفسيره للآية ينسجم مع ملامحها التداولية الاستلزامية.

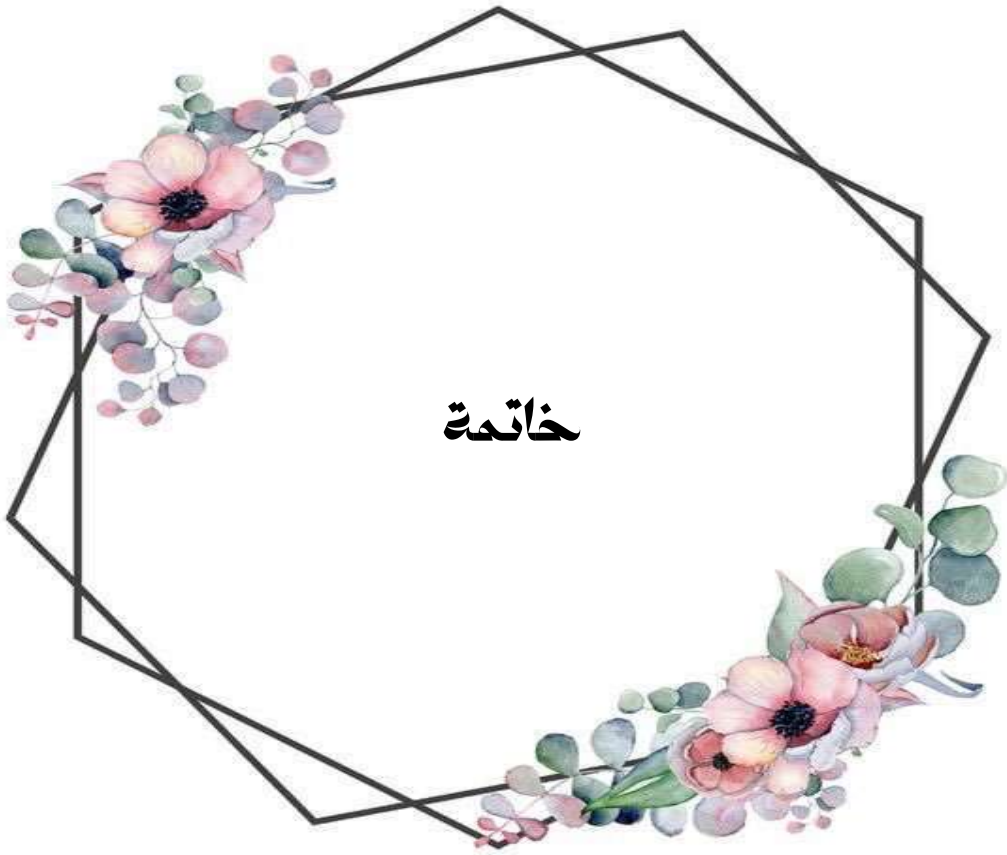
نكتفي بهذا القدر من التلميح الاستلزامي الحوارية في التفسير النموذج شأن المباحث الأخرى؛ ذلك أن تفسير الصابوني غني بمظاهر التداولية والتي لا تسعها هذه الدراسة ولا غيرها إلا ما يقتضيه منطق عرض بعض المظاهر؛ لاسيما وأن صفة التفاسير لم يدرس من هذا الجانب قبلا.

### خلاصة الفصل:

لعل ما أشرنا إليه قبل قليل من ختم للمبحث الأخير، هو نفسه النتيجة التي تعترضنا في خلاصة الفصل في كليته، ألا وهو احتفاء تفسير الصابوني بملامح التداولية؛ ودليل ذلك انسجام تفاسيره للآي مع المعطيات التداولية التي ساقنا البحث إليها.

وفي الوقت نفسه، نشير إلى أننا اكتفينا ببعض الجوانب من البحث التداولي التي أفادت عموما في الإحاطة بدلالات الخطاب القرآني المقدس، واستظهار العلاقة بين بنيته والسياق التداولي.

(1) محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، ج2، ص64.

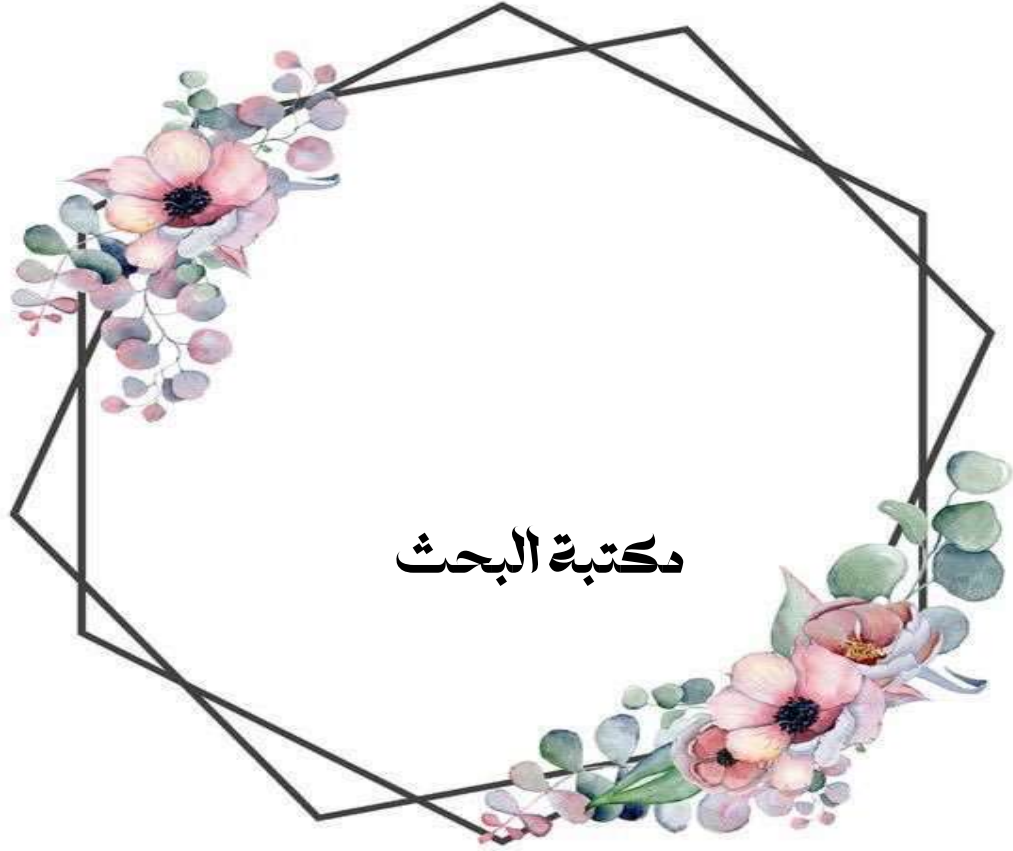


## خاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أنّ تفسير الصابوني للخطاب القرآني، يعكس رؤية لسانية ، تتجسّد في عديد الملامح التداولية ،التي تظهر مدى انسجام معطيات الدرس اللساني التداولي مع فحوى تفسيره.

ويفرض منطق هذه الفكرة العامة المستخلصة أن نعرض لها من النتائج ما يؤكّد هذا التصوّر، إذ نختزلها في النقاط الأساسية التالية:

- تعطي نظرية الفعل الكلامي للخطاب القرآني بعده التداولي في ضوء القوة الإنجازية لكل نوع من أنواع أوستين المعتمدة، ويتبنّى ذلك الصابوني في صفوته بإستحضاره الفعل الكلامي أيضا.
- تمارس الإشارات ومعيناتها الذاتية وكذا السياقية سلطتها التداولية على الخطاب القرآني ،ويعضد ذلك استحضارها أيضا في التفسير النموذج.
- يحفل الذكر الحكيم بأساليب حجاجية تداولية متنوّعة،والتي يراعي الصابوني في تفسيره شرحها وبيان قيمتها الإقناعية.
- يستلزم الخطاب القرآني في مواضع كثيرة- منها ما تمّ الإشارة إليه - بيان عمق القصد تجاوزا للمعنى الصريح نحو المضمّر خلفه؛ عن طريق التأويل والفهم ،وما تمّ استحضاره من ملامح في ارتباطها بمظهرين كنموذج ، قد كشفت عن تأقلم دلالات الصابوني مع ذلك.
- وختاما ،فإنّ هذا العمل لا يشكّل سوى غيضا من فيض ، لنفسح المجال نحو دراسات أخرى تتدارك ما لم يتسنّى لنا دراسته، فإن أخطأنا من أنفسنا ، وإن أصبنا فمن أنفسنا، والله وليّ الصالحين.



دكتبة البحث

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

أولاً/ الكتب العربية:

1. أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها، ومبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.
2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.
3. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2015.
4. إستيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008.
5. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وأخران، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
6. جار الله أبي القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1979.
7. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
8. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
9. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016.
11. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
12. حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، (د.ط)، 2012.

13. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012.
14. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2010.
15. الزواوي بغورة، المنهج بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001.
16. سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، (د.م)، ط32، 2003.
17. السيّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، 1974.
18. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
19. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
20. عبد الجليل منقور، النص والتأويل-دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010.
21. عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامّة واللسانيات العربية (تعريف. أصوات)، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط1، 1991.
22. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتّحدة، ط1، 2004.
23. عماد علي عبد السميع حسين، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، (د.ط)، 2006.
24. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، 2013.

25. العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
26. أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).
27. مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018.
28. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
29. محمد علي الصابوني، صفة التفسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981.
30. محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.م.)، (د.ط.)، 2002.
31. مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.
32. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط2، 2020.
33. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
34. ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت.).
35. نخبة من العلماء، التفسير الميسر، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.).
36. هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

ثانيا/الكتب المترجمة:

37. دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008.

38. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007.

ثالثا/ المقالات المنشورة:

1. إسرائ معطي عبد الرضا ،جواد كاظم سماري ،التداولية :النشأة والمفهوم المعاصر،مجلة آداب الكوفة ،العدد 55، ج2، آذار 2023.

2. بوخشة خديجة، تداولية الحذف عند علماء القرآن، مجلة لغة كلام، مج6، ع2، 2020.

3. بوعرارة محمد، التداولية والحجاج جدلية التصور وبناء المفهوم، فصل الخطاب، العدد4، 2013.

4. بوقفطان مصطفى، بوخالفة إبراهيم، تداولية الوصف والسرد في الخطاب الروائي-رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوي أنموذجا، مجلة اللغة العربية، مج24، ع4، 2022.

5. حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستن" و"سيرل" ودورها في البحث التداولي، حوليات الآداب واللغات، مج1، ع1، 2013.

6. خالق داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان، ع22، 2015.

7. خلف الله بن علي، التداولية مقدّمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج14، ع1، 2015.

8. دايد عبد القادر، ملياني محمد، الاستلزام الحوارية في التحرير والتنوير، مجلة الكلم، مج7، ع2، ديسمبر، 2022.

9. رضيّة بنت حسن باحميد، الاستلزام الحواري آيات من القرآن الكريم (أ نموذجًا)، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مج28، ع1، 2024.
10. ريمة كعبش، نظرية الاستلزام الحواري - المفهوم والمبادئ، مجلة الخليل في علوم اللسان، مج1، ع1، سبتمبر، 2021.
11. زكريا كامل راجح مقدادي، المنهج التوليدي التحويلي (التشومسكي)، مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، العدد1، 2020.
12. ضيف عبد المنعم الفرجاني، تداولية الإشارة عند نزار قباني (قصيدة منشورات فدائية على جذران إسرائيل أنموذجًا)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مج38، ع1، 2018.
13. عبد الرحيم عبد الموجود محمد مهدي، الآليات اللغوية للحجاج في شعر المشركين، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مج49، ع7، 2024.
14. عبد العزيز صابر عبد العزيز، العناصر الإشارية في قصيدة "ارحل وعارك في يدك" لفاروق جويبة دراسة تحليلية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مج1، ع38، 2018.
15. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مجلة إنسانيات، ع14-15، ماي 2001.
16. عمر بوقمرة، التحول اللساني من البنيوية إلى التداولية، جسر المعرفة، العدد1، 2015.
17. عمر حسين عبد المحسن، الإنجازية في سورة النساء دراسة في هدي نظرية أفعال الكلام، MidadAL-AdabRefereedQuarterly journal، العدد23، 2021.
18. علي زواري أحمد، قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفة التفاسير، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد8، 2015.
19. علي عبد الله حمد، ريبوار خطاب، الإشارات الشخصية في (الكاشف عن حقائق السنن) للطبيبي (ت743هـ)، المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2023.

20. بن عيسى، عبد الحليم، اللسانيات والنصّ القرآني، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، مج2، ع2، 2003.
21. فاطمة عبد الله ناصر العازمي، رابحة محمد ضعيف الرشيد، الفكر التداولي عند السهيلي (581هـ) دراسة لغوية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، مج46، ع1، 2022.
22. كاروان حمة باقي عبد الكريم، البعد التداولي في الخطاب القرآني (سورة يوسف أنموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج3، ع1، يناير، 2022.
23. كريم الطيبي، لسانيات التلفظ وتحليل الخطاب الشعري: دراسة في المشيرات المقامية في مرثية مالك بن الربيع، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج10، ع1، 2021.
24. محمد طاهر الحمصي، الاستفهام بين النحاة والبلاغيين، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، ع35، 2016.
25. مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع13، جانفي، 2015.
26. نوارى سعودي أبو زيد، المنهج التداولي في مقارنة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، مجلة فصول، مصر، ع77، 2010.



## فهرس الآيات القرآنية



## فهرس الآيات القرآنية

ص 62	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ الْبَارِ ﴾
ص 64	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
ص 65	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾
ص 65	﴿ فَقُلْ كَيْفَ قَدَرْتُ ﴿19﴾ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَرْتُ ﴿20﴾ ﴾
ص 65	﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾
ص 66	﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى ﴾
ص 67	﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾
ص 67	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿25﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا ﴿26﴾ ﴾
ص 69	﴿ اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾
ص 70	﴿ وَسَلِّ الْقَرْبَةَ ﴾



فهرس الموضوعات

شكر وعران

إهداء

أ-د.....	مقدمة.....
2.....	مدخل: الدرر اللساني من البنية إلى الاستعمال.....
3.....	1/الاتجاه الشكلي في دراسة اللغة.....
3.....	أولاً/المنهج البنيوي في صورة اللغة.....
8.....	ثانياً/تشومسكي وقالب الصورة الذهني.....
10.....	2/الاتجاه التواصلي في دراسة اللغة.....
12.....	3/من البنية إلى الاستعمال في الدرر اللساني.....
16.....	الفصل الأول: تفسير الخطاب القرآني والتداولية.....
16.....	توطئة.....
16.....	أولاً/التداولية وما يتعلق بها.....
17.....	1/التداولية لغة.....
17.....	2/التداولية اصطلاحاً.....
19.....	3/مصطلح التداولية.....
21.....	4/أهمية التداولية.....
23.....	5/درجات التداولية.....
25.....	ثانياً/التفسير ومتعلقاته:.....
25.....	1/التفسير لغة.....

## فهرس الآيات القرآنية

- 26.....2/التفسير اصطلاحا
- 27.....3/الفرق بين التفسير والتأويل
- 27.....1/التأويل لغة
- 28.....2/التأويل اصطلاحا
- 30.....4/أهمية التفسير وأنواعه
- 30.....5/التفسير التداولي للخطاب القرآني
- 31.....1/في ماهية الخطاب والخطاب القرآني
- 33.....2/التفسير التداولي للنوع المخصوص
- 33.....خلاصة الفصل
- الفصل الثاني: ملامح التداولية في تفسير الصابوني-دراسة لسانية لنماذج قرآنية..
- 36.....توطئة
- 36.....1/لمحة عن الصابوني وتفسيره
- 38.....2/الملامح التداولية في صفة التفاسير
- 38.....2-1نظرية الأفعال الكلامية وتجلياتها
- 45.....1/في سياق الإيمان والكفر
- 46.....2/في سياق عداء إبليس لآدم وزوجه
- 47.....3/في سياق التصديق

- 47...../4 في سياق اللطف والتعاطف.....
- 48...../5 في سياق الاستفهام عموماً.....
- 49...../1 استفهام مجهول في الأصل معلوم.....
- 49...../2 استفهام التوبيخ.....
- 50...../3 استفهام التعظيم والتهويل.....
- 52.....2-2 نظرية التلفظ وتجليّاتها في تفسير الصابوني.....
- 54.....1الإشاريات الذاتية.....
- 60...../2الإشاريات السياقية.....
- 61.....3-2الحجاج وتمظهراته في تفسير الصابوني:.....
- 61...../1 في مفهوم الحجاج.....
- 62.....أ/ حجاجية الحذف.....
- 64.....ب/حجاجية التكرار.....
- 65.....ج/حجاجية البيان والبديع.....
- 68.....2-4الاستلزام الحوارى وتجليّاته في تفسير الصابوني.....
- 71.....خلاصة الفصل.....
- 73.....خاتمة.....
- 75.....مكتبة البحث.....
- 82.....فهرس الآيات القرآنية.....
- 85.....فهرس الموضوعات.....

## ملخص:

سعيًا في هذا البحث الموسوم "تداولية التفسير القرآني عند الصابوني دراسة لسانية لنماذج من الذكر الحكيم" إلى كشف ملامح التداولية المبنوثة في هذا التفسير والتي استثمرها الشيخ الصابوني في فهمه للنص القرآني، وهذا الأمر استوجب منا اعتماد المنهجين الوصفي والتحليلي لدراسة الموضوع.

فالبحت يلتزم بدراسة الآي القرآنية، واستجلاء المظهر التداولي، ويقابل ذلك حتماً البحث عن ما يجانس ذلك في التفسير النموذج.

**الكلمات المفتاحية:** الذكر الحكيم؛ التفسير القرآني، الصابوني، التداولية.

### summary:

In this research, "The Pragmatics of Qur'anic Interpretation by al-Sabuni: A Linguistic Study of Examples from the Holy Qur'an," we sought to uncover the pragmatic features inherent in this interpretation, which al-Sabuni exploited in his understanding of the Qur'anic text. This required us to adopt both descriptive and analytical approaches to the study. The research is committed to examining Qur'anic verses and clarifying their pragmatic aspects. This inevitably corresponds to a search for similarities in the exegetical model.

**Keywords:** The Wise Remembrance; Quranic Interpretation; Al-Sabuni; Pragmatics.